٢٧٦

HARLEQUI

روايات احلام

قلب فوق البركان

بيني جوردان

www.hamasatrewaiya.com
Faten

www.hamasatrewaiya.com Faten

قلب فوق البركان

مليونا جنيه لتعود إلى حياته وتنجب له طفلاً .

كان حلم حياة ايموجين منذ أربع سنوات أن تصبح عروس دراكو بارينغتين، ولكن صدمة صاعقة في يوم زفافها غيّرت كل شيء .. فهربت من الكنيسة .. ومن حياة عريسها !

لم تكن تريد أن تراه نهائياً، ولكنها بعد أربع سنوات احتاجت إلي المال. فلجأت ايموجين إلى زوجها البالغ الثراء ... وكان الإذلال الذي أخضعها له دراكو فوق تصورها : لقد عرض عليها مليون جنيه إذا عادت إليه، ومليونا آخر إذا ولدت له طفلا !

www.hamasatrewaiya.com
Faten

ISBN 9953-15-124-5

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥ دينار	مصر: ٦ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

www.hamasatrewaiya.com Faten

المقدمة

قالت «ليزا»:

ـ إذن فأنت ستتابعين الأمر حتى النهاية؟ ستتزوجين «دراكو» رغم أنه لا يحبك؟.

أجفلت إيموجين وكلمات زوجة أبيها الحاقدة تلسعها. كانتا في غرفة نوم «إيموجين»، أو على الأقل التي كانت غرفتها حتى موت أبيها. منذ ذلك الحين وليزا تعلن أنها ستبيع هذا المنزل الريفي الجميل وتشتري شقة عصرية في المدينة الصغيرة التي تحتوي على سوق.

وكانت ليزا قد قالت حين أعلنت الخبر ما الصاعق عن بيع البيت:

ـ لقد طلبني دراكو لكي أساعده في استقبال الزبائن ـ قائلاً إن بإمكانه أن يرى مقدار اجتذاب الشركة للزبائن منذ أصبحت مضيفة أبيك. ولسوء الحظ، لم تدرك أمك أبداً مبلغ أهمية أن تصبح مضيفة جيدة.

وهزت كتفها بازدراء اعتادت عليه كلما جاءت على ذكر والدة إيموجين الراحلة، وهذا ما كان يجعل إيموجين تصرف بأسنانها غيظاً، وتكاد تهب غريزياً للدفاع عن أمها ولكن معرفتها بليزا كانت أكثر من كافية لكي تمتنع عن ذلك. ورغم ذلك، لم تستطع منع نفسها من أن تقول بهدوء:

www.hamasatrewaiya.com Faten

- كانت أمي مريضة. ولولا ذلك لرغبت في استقبال زبائن أبي.

فكان إن ردت ليزا وفي عينيها الزرقاوين القاسيتين نظرة عداء غاضب:

- آه، نعم. كلنا نعلم أنك تعتبرين أمك قديسة. و «دراكو» يوافقني على أنك جعلت حياة أبيك صعبة للغاية طوال تلك السنوات بسبب شجارك الدائم معه، لقد أردت أن تشعريه بالندم لأنه أحبني.

مفاخرة ليزا الواضحة بنفسها جعلت إيموجين تشعر بالغثيان والعذاب، وعند ذلك تابعت زوجة أبيها تقول بلهجة الانتصار:

- دراكو يعتبر أباك محظوظاً تماماً لأنه تزوجني، وفي الواقع...

ثم سكتت حينذاك وهي تمنح إيموجين ابتسامة صغيرة خفية جعل قلب الفتاة يخفق ألماً بشكل لا يطاق، لأن ليزا تتحدث عن دراكو وكأن بينهما علاقة خاصة وأنّ إيموجين غارقة في حبه!

لم تستطع إيموجين أن تفهم قط كيف وقع أبوها الحبيب في غرام امرأة باردة ماكرة مثل ليزا، وإن كانت تقر بأن ليزا جميلة للغاية. فهي طويلة شقراء الشعر ذات قد رشيق، على عكس إيموجين التي أخذت عن أمها صغر حجمها وشعرها الكث الأجعد الشبيه بالعليق الأسود بسبب سواده.

كما ورثت عيني أمها البنفسجيتين الداكنتين اللامعتين بالدفء والحب بعكس عيني ليزا الزرقاوين الباردتين دوماً.

لكن إيموجين كانت شغوفاً للغاية بأبيها ما كان يمنعها من أن تقول له شيئاً. وكانت أمها ماتت عندما كانت هي في السابعة. وحين قرر أن يتزوج مرة أخرى عندما كانت في الرابعة عشرة، قررت هي أن تتقبل زوجة أبيها الجديدة لأجله وهي التي تحبه كثيراً وتحاول حمايته بعنف بطريقتها الصبيانية منذ موت أمها. لكنها استعدت للترحيب بدخول من تستطيع أن تسعده إلى حياتهما.

لكن ليزا سرعان ما أظهرت عدم استعدادها لأن تماثلها كرماً. كانت في الثانية والثلاثين عندما تزوجت والد إيموجين... لم تكن تحب الأطفال ولم ترغب أن تحتوي الأسرة على عضو آخر من جنسها. وهكذا عاملت، منذ البداية، الصبية الصغيرة كغريمة لها ومنافسة على عطف والد إيموجين وولائه.

كانت ليزا قد أمضت في حياتهما أقل من ثلاثة أشهر حين أبلغت إيموجين أن من الأفضل لها أن تذهب إلى مدرسة داخلية، بدلاً من البقاء في البيت والالتحاق بمدرسة خاصة كانت أمها قد اختارتها لها قبل أن يحل بها المرض الذي قضى عليها. وكان دراكو هو الذي تدخل حينذاك مذكراً والدها بأن زوجته الأولى اختارت مدرسة ابنتها الثانوية رغم معرفتها بأنها لن تعيش حتى ترى إيموجين تلتحق بها. وكان دراكو أيضاً هو الذي جاء إلى نفس المدرسة لكي يخبر إيموجين بموت أبيها في حادث اصطدام مفجع والدموع تتألق في عينيه الخضراوين اللتين تعرفهما دوماً بالغتي الغموض والتحكم في المشاعر.

كان ذلك منذ سنة تقريباً. وكانت إيموجين في السابعة عشرة عند ذاك وهي الآن في الثامنة عشرة، وبعد أقل من ساعة ستصبح زوجة دراكو.

كانت السيارة التي ستأخذها إلى نفس الكنيسة الصغيرة التي تزوج فيها والداها ودفنت فيها أمها، تنتظرها في الخارج. وفي داخلها كان محامي أبيها المسن الذي سيرافقها في الكنيسة ليقدمها إلى العريس، مكان أبيها.

وعادت إيموجين فانتبهت إلى سؤال زوجة أبيها الذي قصدت به أن يؤلمها.

- إذن أنت ستتابعين الأمر حتى النهاية؟ ستتزوجين رغم أنه لا يحبك؟

www.hamasatrewaiya.com
Faten

ـ يقول دراكو إن ذلك . . . إن ذلك لمصلحتي . . . وإن هذا ما كان سيرغب فيه أبي لو كان حياً.

فقالت ليزا تقلدها ساخرة بقسوة:

ـ (يقول دراكو) . . . يا لك من حمقاء يا إيموجين. هنالك سبب وحيد يدفع دراكو إلى الزواج بك: السيطرة الكاملة على الشركة.

فصرخت إيموجين بذعر:

ـ لا. هذا غير صحيح. دراكو هو الذي يدير العمل على كل حال، وهو يعلم أنني لن أحاول أبداً أن أغيّر الأمر.

قالت ليزا ببرودة: «ربما لن تفعلي ذلك. ولكن ماذا عن الرجل الذي ستتزوجينه إذا لم يتزوجك دراكو؟ . . قد يكون له رأي آخر. أبوك في وصيته ترك نصيبك من الشركة تحت الوصاية حتى بلوغك الثلاثين إلا إذا تزوجت قبل ذلك. آه، دعي عنك هذا الوهم، يا إيموجين. من المؤكد أنك لا تظنين أن دراكو يرغب فيك حقاً؟».

وارتفع حاجبها الأنيق ساخرة قبل أن تتابع:

ـ دراكو هو رجل! وأنت بالنسبة إليه مجرد طفلة. . بل أنت أقل من ذلك عنده. . . دراكو يريد ما ستعطينه له. لقد أخبرني بنفسه بأنه ما كان ليتزوجك لولا قضية العمل والشركة.

لم تستطع إيموجين أن تمنع شهقة ألم حادة صدرت عنها رغم محاولتها منع ذلك. رأت ابتسامة الانتصار على شفتي ليزا، فكرهت نفسها لأنها سمحت لهذه المرأة أن تؤثر فيها بهذا الشكل.

بذلت جهداً لتستعيد توازنها الذي فقدته، ثم قالت بعدم ثبات:

ـ ما كان دراكو. . . .

لكن ليزا لم تسمح لها بأن تكمل حديثها، فأسكتتها قائلة برقة:

ـ ما كان دراكو ليفعل ماذا، يا إيموجين؟ ما كان ليفضي إليّ بمثل هذا الكلام؟ آه، يا عزيزتي، من المؤسف أنك خارج هذا الزمن بمراحل. أنا ودراكو. . .

وسكتت وهي تنظر إلى أظافرها المقلّمة.

ـ حسناً، على دراكو أن يخبرك بذلك وليس أنا، ولكن سأقول فقط إننا، أنا ودراكو، على علاقة خاصة جداً. . .

لم تستطع إيموجين أن تستوعب ما سمعته. شعرت بغثيان وعدم تصديق بأن مثل هذا يحدث يوم عرسها. . . اليوم المفروض أن يكون أسعد أيام حياتها، أصبح الآن، بفضل تصريحات ليزا الصاعقة، أسوأها.

لم تكن حتى الآن قد فكرت جيداً في تفقّد وصية والدها، لأن الحزن منعها عن ذلك. لكنها تعلم طبعاً أنه كان ناجحاً للغاية ورجلاً ثرياً. وبصفته مستشاراً مالياً معروفاً كان يتمتع باحترام وتقدير وافرين من زبائنه وشركائه في العمل. وما زالت إيموجين تتذكر كم كان مسروراً ومتحمساً عندما أخذ دراكو تحت جناحه هو مجرد متخرج جامعي مبتدىء.

وكانا قد تعارفا عندما اشترك والدها في مناظرة في نفس جامعة دراكو. كان دراكو في الناحية المعارضة وقد تأثر أبوها ليس بمهارته في النقاش فقط بل بمعرفته الشاملة بالموضوع، ووصفه بأنه ذو طاقة غير عادية ونهم للنجاح.

كانت طفولة دراكو عاصفة إذ تركه والده فرباه أقرباء له بعد أن تزوجت أمه ورفض زوجها الجديد تربيته. فكان يعمل لإكمال تعليمه الجامعي، وعندما جاء ليعمل عند والد إيموجين، عاش معهم فترة.

كان دراكو هو الذي يأخذها بالسيارة إلى المدرسة عندما يكون

www.hamsatrewaya.com
Faten

أبوها في رحلة عمل خارج المدينة. دراكو هو الذي علّمها ركوب دراجتها النارية الصغيرة. دراكو، الدراغون أي التنين، كما كانت تلقبه من باب الإغاظة مداعبة. وعندما جعله أبوها شريكاً مبتدئاً معه في العمل، خرج دراكو معها هي للاحتفال بترقيته، حيث تناولا الأيس كريم في أحد مقاهي المدينة.

لم تكن إيموجين واثقة متى أخذ دراكو يتحوّل في نفسها من صديق لها وشريك لأبيها، إلى دراكو الرجل.

إنها تتذكر خروجها من المدرسة ذات يوم، لتجده بانتظارها في سيارته الرياضية القرمزية الصغيرة التي كان قد اشتراها حديثاً.

كان ذلك في عصر يوم صيفي وكان قد أزاح غطاء السيارة وأخذ شعره الأسود الكث يلمع في أشعة الشمس. التفت لينظر إليها وكأنما أحس بوجودها قبل أن تصل إليه، وأخذ يتأملها بعينيه الخضراوين الحادتين.

وفجأة، شعرت وكأنها تراه لأول مرة وكأنما صاعقة صعقتها، وأخذ قلبها يخفق بسرعة.

شعرت بغثيان وإثارة، وامتلأت حيوية ونشاطاً خطرين وخجلاً بالغاً.

ودون أن تدري لماذا، شعرت بأنها تريد أن تعبّ من رؤية وجهه وتملكها إحساس غير مألوف، إحساس جعل وجهها يحمرّ.. يومذاك شعرت بأنها لا تستطيع احتمال الجلوس بقربه كيلا يتكهن بما تشعر به. ولكنها، في نفس الوقت، لم تكن تحتمل عدم وجوده.

قالت ليزا متحدية: «ربما طفلة ساذجة قليلة التجربة مثلك تظن أن دراكو يريدها.. أما المرأة، المرأة الحقيقية، فهي تعرف على الفور أن هناك امرأة أخرى في حياته. حتى أنه لم يحاول إغواءك. أليس كذلك؟».

وأضافت ليزا بقسوة:

- ولا تزعجي نفسك بمحاولة الادعاء بأنك لم ترغبي في أن يغويك لأن افتتانك به واضح إلى حد مؤلم.

جعلتها مقاطعة صوت ليزا الحاد لأفكارها تبتعد غريزياً عنها، لتخفي التعبير الذي بدا عليها. وأثناء ذلك لمحت صورتها في المرآة. كان دراكو هو الذي أصرّ على أن ترتدي ثوب زفاف تقليدياً. ونجح في ذلك عندما قال لها:

- لو كان أبوك حياً لكانت هذه رغبته.

وإذا كان هناك صفة مشتركة بينها وبين دراكو، فهي شغفهما المشترك بأبيها.

وعادت ليزا تقول: «دراكو لا يحبك كما يحب الرجل المرأة».

ومرة أخرى، حاولت إيموجين أن تمنع صرخة عذاب صغيرة من أن تفلت من بين شفتيها.

ضاقت عينا ليزا وهي تخفض صوتها إلى صوت شهواني كالهديل وهي تتابع:

- من المؤكد أنه حتى فتاة مثلك من دون خبرة ستفكر في أن من الغريب ألا يتقرب إليك كلياً. أيّ امرأة طبيعية كانت ستتكهن على الفور بما يعنيه هذا، خصوصاً بالنسبة إلى رجل مفعم بالنشاط والحيوية مثل دراكو.

وابتسمت لها بفظاظة: «إذا كنت مصممة على أن تكوني زوجة غير مرغوب فيها، فما عليك إلا أن تتعلمي كيف تخفين مشاعرك بشكل أفضل. من المؤكد أنك لم تتصوري أنه لم يكن في حياة دراكو نساء. لأن دراكو رجل جذاب».

أخذت إيموجين تدعو الله ألا تصاب بالغثيان وألا تخضع لرغبتها في الهرب من الغرفة ومن صوت ليزا الساخر الكريه.. بالتأكيد كانت

www.hamsatrewaiya.com
Faten

تعلم أنه كان هناك نساء في حياة دراكو، وكانت تعرف ما معنى الشعور بالغيرة المعذب. فلديها من الخبرة ما يكفي.

دراكو مع فتيات أخريات... فتيات يجدهن جذابات مرغوبات من كل النواحي، فتيات يريدهن من كل النواحي.

بينما لم تكن هي بالنسبة إليه، أكثر من مجرد طفلة. ابنة شريكه وصديقه الحميم. فتاة يجب أن يعاملها بشعور الأبوة والتسلية وكأنما ما يفصل بينهما هو عشرون سنة وليس عشر سنوات فحسب... عشر سنوات... عقد كامل... ولكنهما سرعان ما سيصبحان متماثلين. سرعان ما تصبح زوجة له... وتملكتها رجفة قصيرة. طوال سنوات مراهقتها وهي تحلم بدراكو.. تحلم بأن يخبرها عن حبه وعن عدم قدرته على العيش من دونها... تحلم بأن يطلب منها أن تكون زوجته.

ولكن كان هناك جزء ضئيل منها، صوت خافت رفضت أن تصغي إليه بدافع من الخوف والعذاب، كان يحثها على أن تحذر... أن تتساءل لماذا لم يذكر قط دراكو أمامها شيئاً عن الحب.

وبشكل ما، استطاعت حتى الآن أن تتجاهل ماذا يمكن أن يعني ذلك الإغفال.. حتى الآن.

لاحظت إيموجين، خلال ألمها الصاعق، جواً غريباً من التصميم البالغ في سلوك زوجة أبيها... جواً وصل إلى حد اللهفة العنيفة، لكن إيموجين كانت من الضعف نتيجة أفكارها المعذبة بحيث لم تستطع التفكير في ما يعني ذلك. انتصبت واقفة وقالت لليزا بكبرياء بالغ:

ـ دراكو سيتزوجني...

فقالت ليزا بعنف: «لا. دراكو سيتزوج إرثك، أليس فيك كرامة أيتها الحمقاء؟ أيّ امرأة لديها كرامة، تهرب الآن قبل فوات الأوان، لتبحث عن رجل يريدها حقاً، بدلاً من الزحف خلف رجل لا يريدها... رجل سبق أن اتخذ لحياته امرأة يريدها حقاً!».

شعرت إيموجين وكأنها في كابوس. أية قسوة أكثر من هذه؟ ولكنها لا تريد أن تسمعها، لم تشأ أن تسمح لنفسها بسماعها.

حان وقت خروجها. وبدأت تسير متجاوزة زوجة أبيها، لكن ليزا قبضت على ذراعها توقفها، وهي تقول بصوت كالفحيح:

ـ أنا أعلم ما الذي تتمنينه ولكنك تضيعين وقتك. دراكو لن يحبك أبداً، إنه يحب امرأة أخرى. وإذا لم تصدقيني فاسأليه! اسأليه اليوم... الآن، قبل أن يتزوجك، عما إذا كان هناك امرأة... امرأة في حياته يحبها. واسأليه، إذا كانت تجرؤين، عمن تكون.

* * *

امرأة في حياة دراكو يحبها! كان رأس إيموجين يسبح في الألم والخوف وهي تسير في الكنيسة نحو الكاهن. كانت ترى رأس دراكو الأسود الشعر من الخلف وهو ينتظر وصولها إليه. ورائحة الزنابق التي تملأ جو الكنيسة من القوة بحيث جعلتها تشعر بفتور وغثيان خفيف. كيف يمكن أن يكون ذلك صحيحاً؟ كيف بإمكانه أن يفكر بالزواج بها وهو يحب أخرى؟.

لا... إن ليزا تكذب... تكذب، محاولة أن تثير المشاكل أمام إيموجين... لكي تؤلمها وتكدرها.

أما ما قالته في النهاية، فمن المؤكد أنه مستحيل، ما دامت ليزا تعني ضمناً أنها هي نفسها التي يحبها دراكو.

كان ذلك مستحيلاً تماماً، على الأقل بالنسبة إلى إيموجين.

* * *

(الحبيب الغالي...).

وشعرت إيموجين بنفسها تترنح، فسارعت أصابع دراكو تقبض على ذراعها تسندها.

الشوق والألم تملكاها بقدر متساوٍ. المفروض أن هذا اليوم أسعد

www.hamsatrewaiya.com
Faten

أيام حياتها، لأنها تتزوج الرجل الذي تحبه. الرجل الذي أحبته منذ أدركت ما هو الحب.

- إيموجين، هل أنت بخير؟ ظننت لحظة أنه سيغمى عليك.

حاولت إيموجين أن تغتصب ابتسامة وهي ترى الاهتمام العابس في نظرات دراكو، نظرات زوجها... كانت تشعر بركبتيها تكادان تنثنيان. كانت تشعر بشيء غريب... بالوحدة والخوف... البالغين...

كانا الآن خارج الكنيسة بينما الأجراس تقرع، وضيوف العرس يثرثرون بسعادة.

- دراكو... هناك شيء أريد أن أسألك عنه.

- هممم...

لم يكد دراكو ينظر إليها، كما رأت إيموجين فشعرت بالتعاسة... لم يكن يبدو عليهما أنهما عروسان... أو أنهما زوج وزوجة... أو حبيبان...

قالت: «هل أنت...؟ هل هناك... هل هناك امرأة... تحبها..؟».

نظر الآن إليها، والمرارة تتملكها، وركز كل اهتمامه عليها، ولكن ليس بالطريقة التي تاقت إليها. كان مقطباً جبينه بشكل منفّر في هذا الصمت المتوتر الذي أوجده سؤالها.

لم تستطع إيموجين أن تحتمل متابعة كلامها وهي تنظر إليه. رأت وميضاً من شعور يلمع في عينيه الخضراوين. وسمعت الغضب العنيف في صوته وهو يسألها: «من أخبرك ذلك؟».

شعرت بقلبها وكأنه يتحطم. كان هذا صحيحاً.

أخذت تنظر إليه بيأس إليه وهو يشتم بصوت منخفض ثم قال بلطف أكثر:

- نعم نعم، هناك واحدة، ولكن...

دراكو يحب امرأة أخرى. إنه يحب امرأة أخرى، ومع ذلك تزوجها.

شعرت إيموجين وكأن عالمها كله انهار من حولها. أين هو ذلك الرجل الذي وضعته في برج عاجي فوثقت به وعشقته؟ إنه غير موجود...

صرخت صرخة خافتة منخفضة وارتدت على عقبيها راكضة، متلهفة إلى الخلاص من ألمها، من انتصار زوجة أبيها، ومن دراكو نفسه الذي خانها وخان كل ما كانت تؤمن به.. ومن خلفها سمعت دراكو يناديها لكن هذا جعلها تسرع أكثر فأكثر. وفي الشارع خلف الكنيسة وجدت سيارة أجرة، ومن دون أن تقف لتفكر في ما كانت تفعل، ركضت إيموجين إليها وقفزت إلى داخلها.. حملقة السائق فيها كانت ستضحكها لو أنها حدثت في أي وقت آخر. أما حالياً، فكان الضحك آخر ما تفكر فيه...

قالت له بصوت مرتجف: «أسرع.. أسرع من فضلك».

ألقت، أثناء حديثها، نظرة سريعة على الكنيسة، متوقعة أن ترى دراكو راكضاً نحوها... لكن الشارع خلفها كان خالياً، وقال السائق بمرح وهو يرى ثوب العرس الذي ترتديه الراكبة، ولهفتها:

- لا تخبريني بأنك مسرعة لحضور عرسك صح؟.

وضحك لنكتته هذه وانطلق...

صححت إيموجين له كلامه بغضب: «خطأ، أنا في الحقيقة هاربة من شخص ما».

عندما التفت يحدق إليها، متجاهلاً زحمة السير، رأت الذهول في عينيه. وقال باحتجاج:

- ماذا؟ عروس هاربة؟ لم يخطر هذا ببالي قط.

حتى الآن لم تر أحداً يتبعها.. لا أثر لسيارة دراكو «الديملر»

www.hamasatrewaiya.com
Faten

الفارهة، ولا لسيارة زوجة أبيها الرولز رويس.

***

لم تشعر في حياتها قط برحلة طويلة إلى هذا الحد. ولا سببت لها رحلة قط كل هذا القلق... فقد ظلت تنظر حولها لترى إن كان هناك من يلحق بها، ولكن السائق لم يلبث أن وقف بها أخيراً أمام بيتها، وانتظر ريثما أسرعت إلى الداخل لتحضر له أجره. فقد كانت عروساً ولم تكن تحمل نقوداً معها.

عندما دفعت له أجره، وخففت من قلقه الأبوي المفاجىء عليها، عادت تصعد إلى غرفتها، خالعة ثوب زفافها بقوة جعلت قماشه الرقيق يتمزق، تماماً كما مزق دراكو وزوجة أبيها أحلامهما فيما بينهما.

لبست بسرعة بنطلون جينز وبلوزة، وشرعت تفرغ حقائبها التي حزمتها لرحلة شهر العسل، لتملأها بعد ذلك بملابس نزعتها من الخزانة والأدراج دون أن ترى ما هي. لم تكن تدري ما تفعل... كل ما كانت تعرفه هو أن عليها الابتعاد قدر الإمكان عن دراكو. إن كان ما قالته لها زوجة أبيها صحيحاً فهذا يعني أنه لم يتزوجها إلا للسيطرة على العمل بأكمله، إذن فهو لن يرضى حتى بأقل من ذلك. كانت تعرف مدى تصميمه، ومبلغ تركيزه و... وارتجفت. دراكو! دراكو! كيف أمكنه أن يفعل هذا بها؟ وكيف يذلها ويؤلمها بهذا الشكل؟ وأحرقت الدموع عينيها. وتناولت حقيبة يدها ذات اللون التبني التي اشترتها خصيصاً لرحلة شهر العسل، وكان جواز سفرها فيها والشيكات السياحية التي أعطاها إياها دراكو في بداية الأسبوع، قائلاً لها بابتسامة صغيرة:

ـ لإنفاق النقود.

تلك الابتسامة التي كانت تجعل قلبها دوماً يخفق بسرعة مخيفة وكيانها يذوب ويلتهب شوقاً.

في ذاك الحين، عدتها بعد أن ذهب واستغربت هذا القدر من المال الذي أعطاها إياه.

حسناً، هذا المال سيغيرها الآن.. أخذت تفكر في ذلك بمرارة ساخرة وهي تسمح لنفسها بالاستمتاع بإنفاق النقود التي أعطاها إياها دراكو لإنفاقها في شهر العسل.

ستستعمل هذا المبلغ لشراء تذكرة سفر تبعدها عنه قدر الإمكان.

قال الكاتب يجيب عن سؤال إيموجين المتلهف:

ـ هناك عدة مقاعد في طائرة سترحل إلى «ريو دي جانيرو» بعد نصف ساعة.

حتى وهي تستمع إلى الكاتب، لم تكن تستطيع منع نفسها من النظر حولها ومن فوق كتفها، متوقعة أن ترى دراكو خلفها، وفي نفسها خيبة أمل لأنها اكتشفت أن جزءاً منها كان يتمنى بلهفة أن يحدث هذا. لكن الأوان الآن فات بعد أن حجزت لنفسها مقعداً إلى ريو دي جانيرو. سارت وهي ترتجف إلى الجمرك وسلمتهم حقيبة ملابسها.

وداعاً يا وطن، وداعاً لكل من كانت تعرف... وداعاً لحب كانت تأمل بأن تحصل عليه...

ووداعاً، يا دراكو.

***

www.hamasatrewaiya.com
Faten

١ ـ الزوجة العذراء

(بعد ذلك بأربع سنوات).

أثناء رحلة العودة من ريو دي جانيرو، أخذت إيموجين تراجع بالضبط ما كانت تريد أن تقوله. وأثناء ذلك كانت تذكر نفسها بأنها لم تعد فتاة ساذجة في الثامنة عشرة من عمرها، لا تعرف أي شيء عن العالم الحقيقي أو الناحية المظلمة من الحياة. تلك الفتاة التي كان حب أبيها يحميها ويظللها. لا، لقد أصبحت الآن امرأة... امرأة في الثانية والعشرين تعرف بالضبط ما عليه العالم الحقيقي من ألم وفقر وانحطاط بقدر ما فيه من حب وعطف وسخاء.

عندما استعادت أحداث السنوات الأربع الماضية، بدا لها أنه من المستحيل تقريباً أن يكون قد بقيَ فيها أثر من تلك الفتاة التي كانتها. وأغمضت عينيها واستندت إلى الخلف في كرسيها في الدرجة السياحية مع أن بإمكانها أن تعود إلى الوطن بالدرجة الأولى... لكن المرء لا يفعل شيئاً كهذا بعد أن أمضى السنوات القليلة الماضية عاملاً في مساعدة الأيتام المعدمين الذين يعيشون في عالم يحارب فيه أطفال في الخامسة من العمر لأجل قطعة خبز. والآن، وبفضل المؤسسة الخيرية الصغيرة الخاصة التي عملت فيها، حصل بعض أولئك الأيتام، على سقف يظللهم وطعام وتعليم. وأيضاً، والأهم من كل شيء آخر عند

إيموجين، حصلوا على المحبة.

لم تستطع إيموجين أن تحسب بدقة متى شعرت للمرة الأولى بالندم لأنها أدارت ظهرها لميراثها... ليس لأجل مصلحتها، ولكن لأجل أعمال الخير التي أهتمت بها وللأولاد الذين أرادت كثيراً أن تساعدهم.

ربما كانت البداية حين وقفت ذات يوم وأخذت تنظر إلى السعادة المشرقة على وجه «الأخت ماريا» وهي تعلن لهن جميعاً، بصوت يهتز بعرفان الجميل والبهجة البالغة، عن المبلغ المالي الذي اجتهدن جميعاً في جمعه طوال العام. وإذا بإيموجين ترى أنه مجرد جزء صغير من الدخل الذي كان بإمكانها أن تتوقعه من ميراثها... هذا عدا القيمة الشرائية.

كل ما كانت تعلمه هو أنها أخذت تتساءل في الشهور الأخيرة عن مبلغ حكمة تصرفاتها ومبلغ الصواب في أن تسمح للكبرياء بأن تقف في طريق كل ما بإمكانها أن تقوم به لفائدة العمل الخيري.

وكأن ذلك لم يكن كافياً، فأخذت أيضاً تتساءل كيف سينظر أصدقاؤها وزملاؤها في العمل إليها عندما يعلمون أنها كانت ترفض بعناد وعن سبق إصرار وتصميم استعمال ما لديها من أموال في الأعمال الخيرية. الكبرياء جيدة جداً، ولكن من الذي يدفع ثمن اطلاقها العنان لكبريائها هذه؟ هذه الأسئلة وأسئلة أخرى مؤلمة مماثلة جعلتها تناقش نفسها فترة طويلة. وأخيراً، وصلت إلى قرار شعرت معه بالخجل من نفسها لاستغراقها كل ذلك الوقت الطويل في الوصول إليه.

كانت الراهبات في منتهى الرقة واللطف وعرفان الجميل وهن يتلقين بتواضع بالغ كل مساعدة تصلهن. كانت إيموجين تعلم أنهن لن يلمنها أو ينتقدنها أبداً. لكنها بدأت تلوم وتنتقد نفسها... في

www.hamsatrewaiya.com
Faten

السنوات التي أمضتها في ريو دي جانيرو، تعلمت إيموجين أن تحافظ على عزلتها وخصوصياتها وتحميها، وتتجنب أية أسئلة غير مرغوب فيها، على كانت نية ملقيها طيبة. فهي لم تعد تجود بثقتها على الآخرين بسهولة، وماضيها أصبح موضوعاً محرماً لا تتحدث عنه مع أحد.

اتخذت أصدقاء في المدينة، هذا صحيح، لكن ماضيها بقي لنفسها، جاعلة دوماً مسافة بينها وبين أصدقائها، خصوصاً الرجال منهم. الوقوع في الحب... أن تحب... كلها أشياء كان التفكير فيها يؤلمها أشد الألم فكيف بالمخاطرة في التورط فيها؟ لا... ليس بعد دراكو... ما زالت حتى الآن تحلم به. وهي أحلام تستنزف مشاعرها فتبقى أياماً بعد ذلك تقاسي الآلام.

لم يكن هناك شخص تريد أن تفضي اليه بقوة نار الخسارة والوحدة التي كانت تكوي قلبها حين وصلت إلى المدينة، أو كم من المرات شعرت بالإغراء في أن تغير رأيها وتعود إلى وطنها، ولم يمنعها من ذلك سوى كبريائها. بعد أسبوع من وصولها إلى المدينة أرسلت رسالة إلى محامي أبيها تخبره فيها بأنها فصلت نفسها كلياً عن حياتها الماضية. وقالت فيها أيضاً إنها لا تريد أية علاقة بميراث أبيها وإنها منذ الآن فصاعداً تريد أن يُسمح لها بقيادة حياتها بنفسها، ووحدها. وقد جعلت رسالتها رسمية قدر الإمكان، مظهرة أنها لا تريد أي نوع من الاتصال لا بزوجة أبيها ولا بدراكو.

وطبعاً، لم تضع أي عنوان لها في الرسالة، وزيادة في الاحتياط، استعملت آخر ما بقي من النقود التي أعطاها إياها دراكو لكي تسافر إلى أميركا حيث وضعت الرسالة بالبريد من هناك ثم عادت إلى ريو دي جانيرو في البرازيل.

ولكي تعيل نفسها، وجدت عملاً كمعلمة ومترجمة في نفس الوقت، ومن خلال ذلك العمل، اشتركت مع الراهبات في مؤسستهن

الخيرية للأولاد.

استغرق منها ما تعانيه الآن من الشعور بالذنب، وقتاً طويلاً لكي تحمل نفسها على اتخاذ هذه الخطوة التي تخطوها الآن. وما زال يتملكها شعور حاد بالخزي كلما تذكرت نظرة التأمل وعدم التصديق التي بدت على وجه الأخت ماريا عندما أخبرتها بأنها ليست تلك الشابة المفلسة التي يظنونها.

عدم محاولة الأخت ماريا أن تسألها أو تنتقدها، قوّى من عزيمتها في أن تصحح الأمور في أسرع وقت ممكن.

اعتقدت في البداية بأنه يكفيها أن تكتب بكل بساطة إلى محامي أبيها وتشرح له أنها غيرت رأيها بالنسبة إلى الدخل الذي يمكنها الحصول عليه حسب وصية أبيها. شرحت له بأبسط الجمل كيف تريد أن تستعمل ذلك في مساعدة أولاد الشوارع المساكين في مدينة ريو دي جانيرو. وآلمها أن تستلم جواب هذه الرسالة ليس من «هنري فيربرن» ولكن من شخص اسمه «دايفيد برايانت» أعلن فيها أنه خليفة هنري وابن أخته لأن خاله توفي وحل هو مكانه في العمل.

أما بالنسبة إلى دخل إيموجين من الميراث فقد ذكرت الرسالة أن من الضروري أن تعود إلى إنكلترا لكي تنفّذ ما تريد، ونصحها بالإسراع في ذلك.

وطبعاً، توقفت عند فكرة العودة إلى الوطن. ولكن، على كل حال، ما الذي تخاف منه في الواقع؟.

لم يكن هناك حتماً ما يجعلها تخاف من حبها لدراكو الذي مات منذ زمن طويل. ذلك أنه لم يحدث بينهما اتصال قط. ولعلهما هو وليزا، يعيشان معاً بسعادة تامة الآن فهما مناسبان لبعضهما البعض بكل تأكيد. وهي لم تر شخصين من قبل متماثلين مثلهما في الجمود وعدم الشفقة واللامبالاة.

www.hamasatrewaiya.com
Faten

وكان من المؤسف جداً أن أباها رأى من المناسب أن يجعل دراكو أحد الأوصياء عليها، والمؤسف أكثر أن الوصي الآخر، هنري، لم يعد حياً. لم تكن إيموجين واثقة بالضبط من وضع ميراثها القانوني وحقوقها، ولكن لا شك أن بإمكان «دايفيد برايانت» أن يقدم لها النصيحة في هذا الشأن، وفي شأن الأمر الآخر الذي ما زال عالقاً...

فالحقيقة التي لا يمكن أن تُمحى هي أنهما، هي ودراكو، ما زالا متزوجين قانونياً، على حد علمها!.

وعندما أخبرت الأخت «ماريا» عن زواجها أنّبتها الأخت برقة وذكرتها بأن على عهد الزواج أن يدوم مدى الحياة فتأثرت بما سمعت وكانت من الحماقة بحيث لم تسع إلى فسخ زواجها. فقد منعها من ذلك، الرعب في تلك الأيام الأوائل من أن يحاول دراكو أن يقنعها بالعودة إلى الوطن وإلى زواجهما هذا.

والآن، لم يعد لذلك الخوف أثر. وعليها أن تهدىء أخيراً من كبريائها وتتخذ الخطوة الأخيرة إلى مستقبل لا يضم دراكو.

توترت عضلات معدتها توقعاً وخشية لكنها ما لبثت أن حدثت نفسها بحزم بأن هذا شعور طبيعي لأن الطائرة بدأت بالهبوط في مطار هيثرو.

* * *

كانت إيموجين، حين غادرت مطار هيثرو منذ أربع سنوات، مجرد فتاة جميلة، هي أقرب إلى الطفلة منها إلى المرأة التي أصبحت عليها الآن... فهذه المرأة لا يمكن أن توصف أبداً بأنها بسيطة الجمال ناقصة الحيوية. فالحياة الشاقة الخالية من أي رفاهية، ومن العواطف الفياضة، عرّت جسدها من لحم المراهقة الذي كان متكوّماً عليه، وصقل وجهها فبدا بارز العظام برقة وشفافية بالغتين، ولم يبرز هذا روعة ملامحها المذهلة وحسب، ولا العمق والحرارة في عينيها

البنفسجيتين المدهشتين، بل منحها كذلك تألقاً شبه روحاني، مما جعل الناس يلتفتون إليها ليس مرة واحدة بل مرتين، وأحياناً ثلاث مرات...

كانت ترتدي بنطلوناً بسيطاً من الكتان وقميصاً قطنياً أبيض. ولكن الملابس الفضفاضة التي ترتديها لم تكن قادرة على اخفاء نحافة خصرها، وارتفاع صدرها، وطول ساقيها غير المتوقع.

كان شعرها الأسود يعني أن بشرتها تكيفت تماماً مع شمس أميركا الجنوبية التي منحتها وهجاً دافئاً مشمشي اللون. وعندما رفعت يدها تظلل عينيها من أشعة الشمس التي بدت الآن من بين الغيوم الرمادية، تألقت في معصمها الساعة الذهبية التي أهداها إياها أبوها قبل وفاته، فأظهرت هشاشة ودقة معصمها. ونظرت مجموعة من مضيفات الطائرة اللواتي كن يسرن بجانبها، بحسد إلى الطريقة التي عقدت بها شعرها الكث المتشابك إلى الخلف بعيداً عن وجهها بوشاح حريري أبيض قديم.

تنفست إيموجين بعمق، واستدعت سيارة أجرة. وعندما أصبحت بداخلها، نظرت إلى قطعة ورق أخرجتها من حقيبة يدها، وأعطت العنوان المكتوب عليها للسائق.

وعندما كرره، قال: «بوت وارف، ذلك واحد من تلك المباني المطورة حديثاً على ضفاف النهر».

ابتسمت إيموجين بأدب مقرة بصحة ملاحظته، ولم تجب. وكانت سألت محاميها نصيحته بشأن اختيار مكان للإقامة مشيرة إلى أنها تفضله رخيصاً وقريباً من مكتبه.

وذهلت وهي ترى أنه لم يوضح أنه قام بالترتيبات لذلك في العنوان الموجود داخل المغلف وحسب، بل وضع معه شيئاً لتغطية رحلتها الجوية بتذكرة في الدرجة الأولى.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

منطقة «دوكلاندس» هذه بالذات في لندن، لم تكن مألوفة لديها. واتسعت عيناها قليلاً وهي تتأملها من خلال زجاج نافذة سيارة الأجرة. كان الشارع مليئاً بالسيارات الفخمة والشبان والشابات يرتدون ملابس غالية التفصيل، كان في المنطقة جوّ من الرفاهية والمكانة الراقية. هل يمكنها حقاً أن تجد مكاناً رخيصاً تقيم فيه في هذه المنطقة؟ وتملكها شيء من الذعر وهي تتساءل عما إذا أساء المحامي فهم طلبها.

توقفت السيارة أمام مبنى فخم لشقق سكنية. فخرجت منها، وأخذت تنظر حولها بعدم ثقة. ثم دفعت أجرة السائق وحملت حقيبة ملابسها الصغيرة قبل أن تعتدل في وقفتها وتتوجه بعزم إلى المدخل.

أثناء ذلك، كانت تعي بغموض ظل سيارة كبيرة تحتل المكان الذي خرجت منه التاكسي لتوها. لكنها لم تهتم بها، بل كانت مشغولة جداً بالتأكد من أن لديها العنوان الصحيح.

نعم. كان العنوان هونفسه الذي أعطاها إياه المحامي، ودخلت بشيء من الحذر إلى الردهة المترفة في المبنى، ثم وقفت، وبدافع لم تستطع مقاومته، التفتت إلى خلف ونظرت... ثم نظرت مرة أخرى. وجمدت أنفاسها في رئتيها للصدمة التي تملكتها عندما عرفت الرجل الذي كان يصفق باب سيارته التي سبق أن لاحظتها من قبل... رأته يتقدم داخلاً بخطواته الواسعة نحوها وهو يهتف بهدوء:

- إيموجين. كنت أرجو أن أستقبلك في المطار، لكنني، لأمر ما، فقدت أثرك.

فقالت: «دراكو؟».

ما أضعف ما بدا عليه صوتها الذي كان رقيقاً مهتزاً أشبه بصوت فتاة صغيرة! وحاولت أن تتنحنح بغضب، مذكرة نفسها بأنها امرأة راشدة في الثانية والعشرين. لكن حواسها الآن كانت مركزة على

دراكو.

لم تغيره السنوات الأربع كما غيرتها هي، لكنه، على كل حال، كان راشداً عندما تركته.

ما زال يمتلك تلك الهالة من الجاذبية والقوة والآن فقط، بصفتها امرأة لاحظت على الفور، وبشكل عنيف، مدى جاذبيته. وكأنها رأت فجأة شيئاً، كان في السابق مبهماً.

أتراها نسيت مدى جاذبيته أم أنها كانت أكثر سذاجة من أن تلحظها؟ حسناً، إذا كان هذا هو الأمر، فهي لم تعد كذلك.

كان شعره ما يزال قاتماً كما عهدته، لكنه أقصر، ما جعله يبدو، بشكل ما، صلب الملامح، وكانت عيناه أيضاً أكثر صلابة مما تتذكر، أكثر صلابة وهما تتفحصانها ببرودة جعلتها ترتجف.

- أنت لم تسافري بالدرجة الأولى.

فسألته: «هل كنت تعلم أنني قادمة؟».

حاولت، لكنها لم تستطع إخفاء صدمتها المفزعة.

- طبعاً، فأنا الوصي عليك، كما تعلمين. وبما أن الغرض من زيارتك هو مناقشة موضوع ميراثك فهذا يعني أني المعني بالأمر...

الوصي عليها! حسناً، إنها تعلم ذلك طبعاً. لكنها، لأمر ما اعتقدت أن دايفيد برابانت هو الذي ستتحدث إليه وأنه سيتصرف كمفاوض بينها وبين دراكو. فآخر ما كانت تريده أو تحتاج إليه هو أن تواجهه بهذا الشكل وهي متوترة الأعصاب، ومنهكة بسبب الرحلة الجوية.

صممت أن تستعيد شيئاً من سيطرتها على نفسها، وسألته بلهجة لاذعة: «يدهشني أن ليزا ليست معك».

- ليزا؟.

رأت من لهجته القاطعة الحادة، ومن النظرة التي ألقاها عليها، أن

www.hamasatrewaiya.com
Faten

سؤالها هذا لم يعجبه.

ثم قال ببرودة: «لا صلة لليزا بهذا الأمر».

يريد طبعاً أن يحمي حبيبته. وتملك الغضب إيموجين من نفسها لأنها رغبت في أن تقذفه بكل تلك الاتهامات التي فكرت فيها منذ سنوات وهي مقهورة، مغلوب على أمرها.

ربما كانت إيموجين القديمة ستذعن وتفعل ذلك، ولكن الطريقة التي نظر فيها إليها عندما ذكرها بأنه الوصي عليها، جعلتها تتوخى الحذر معه.

من المؤكد أن مطالبتها باسترداد الدخل الذي رفضته سابقاً، هو مسألة شكليات. أليس هو ملكها قانونياً؟.

وعندما وصل بها التفكير إلى قضية تنظيم نصيبها من الميراث شعرت بأنها تقف على أرض صلبة. ما دام دراكو أراد أن يتزوجها لكي يضمنه، فسيسر كثيراً بأن تعطيه السيطرة القانونية على نصيبها مقابل أن تضمن إعطاء دخله إلى الجمعية الخيرية. ويمكنها دوماً، إذا شاءت، أن تبيعه في السوق! معرفتها بأنها تمسك بهذه القوة، هذا التهديد له، ساعدتها على أن تستجمع شجاعتها.

كان دراكو قد وصل إليها الآن، فاكتشفت إيموجين أن ثمة ما لم يتغير. ما زال عليها أن تميل رأسها إلى الخلف لكي تنظر في عينيه، عندما يقف أمامها. لقد فات أوان الندم الآن على لبسها هذا الحذاء المريح المنخفض الكعب.

قال وهو يدفعها إلى الأمام بقوة: «هيا بنا».

الخوف من أن تتأثر بملامسة يده القوية الطويلة الأصابع التي وضعها بحزم على ظهرها، جعلها تسرع في اتجاه المكان الذي كان يشير إليه.

ما الذي حدث لها؟ وما الذي يجعلها تخاف من لمس دراكو لها

الآن؟ كانت تخافه ذات يوم لأنها كانت تعلم حينذاك أن أقل لمسة أو احتكاك معه، يجعلها تنفجر شوقاً إليه. لكن تلك الأيام انتهت!.

لقد رأت في شوارع ريو دي جانيرو البراهين الحية المؤلمة عما يحدث عندما ينغمس إنسانان في رغباتهما. لن تهجر طفلها أبداً... أبداً، ولو بعد مليون سنة، ولكنها ليست فتاة صغيرة أو طفلة مفلسة ودون أي وسائل تسندها. لا. ليس هذا هو الموضوع. الموضوع كان... الموضوع كان...

دار رأسها وهي تدرك أنها تمضي وقتاً صعباً في التركيز على أي شيء منطقي أو مناسب... وأنها كانت، في الواقع، تجد من المستحيل أن تركز على أي شيء غير دراكو نفسه.

وكان هو يقول: «من هذا الطريق».

تبث بشكل آلي إلى المصعد ذي الجدار الزجاجي، واعية إلى الإضاءة المختصرة لعامل المصعد وهو يحيي دراكو باحترام:

ـ مساء الخير يا سيد «بارينغتن».

أجابه دراكو بهدوء: «مساء الخير يا «بيتس». هل أسرتك بخير؟».

أجاب بيتس: «نعم إنها بأتم خير. وروبرت فوق السحاب بسبب تلك الوظيفة التي أمّنتها له».

الابتسامة التي منحها دراكو للرجل جعلته يبدو فجأة أقل مناعة مما هو بكثير وذكرتها بالابتسامات التي كان يمنحها إياها... وملأ صدرها ألم لا يُطاق سرعان ما فسرته بسرعة اندفاع المصعد إلى أعلى.

وقال دراكو ببرودة: «أما زلت تخافين من الأعالي؟ لا تنظري إلى أسفل. لسبب لا يعلمه إلا الله يبدو أن كل مهندس في المدينة قرر أن المصاعد ذات الجدران الزجاجية هي الأفضل».

ملاحظة كهذه، كان ذات يوم ينطق بها هازلاً، أما الآن فهو ينطق

www.hamsatrewaiya.com
Faten

بها ببرودة وتوتر. حسناً، ليس هناك سبب يجعله يريها أي دفء، بطبيعة الحال.

ولكن لماذا لا؟ ألم توفر عليه مشكلة التظاهر بأنه أراد أن يتزوجها أو أنه يهتم بها؟ في الرسالة التي أرسلتها إلى المحامي هنري تتنازل فيها عن ميراثها.. أعطت دراكو السلطة الكاملة لاستعمال حصتها في الشركة كما يراه مناسباً. وقد فعلت ذلك لأنها كانت تعلم دون أدنى شك أن دراكو سوف يسير على مبادىء أبيها وأهدافه في إدارة العمل.

عندما بدأ المصعد يتحرك، أغمضت عينيها، ولكن عن غير توقع، أصبحت الصور والذكريات التي أخذت تعذبها فجأة أسوأ بكثير من الأعالي التي تخافها. وكانت تعلم أنها لن تصفح أبداً عن دراكو لأنه حاول أن يحتال عليها، ويسيء استعمال الثقة التي كان أبوها قد وضعها فيه.

واهتز المصعد ليقف بصمت. وسمعت صوت دراكو يخاطبها ساخراً:

ـ يمكنك أن تفتحي عينيك الآن.

عندما خرجت من المصعد، رأت أن المصعد وقف بهما عند طابق كتب عليه (جناح «الروف»).

جناح «الروف». هل أسكنها محاميها في «روف»؟ وتملكها شعور بعدم الراحة، فقد أدركت لتوّها أن هذا مرتفع الأجر.

عند وصولها إلى مدينة ريو دي جانيرو استغرق منها التعوّد على النوم في غرفة مشتركة، وقتاً طويلاً. ولكن حين استأجرت لنفسها أخيراً شقة صغيرة، بقيت أسابيع تفتقد وجود فتيات أخريات معها. الآن عليها أن تعترف بمتعة الانفراد ورفاهية الحصول على حمام خاص بها.

تمتمت تقول بينما كان دراكو يفتح الباب:

ـ طلبت من دايفيد برايانت أن يستأجر لي مكاناً رخيصاً قريباً من

مكتبه.

رأت حاجبيه يرتفعان وهو يصغي إليها ثم قال لها:

ـ حسناً، لقد استجاب لهذين الطلبين. لأن مكتبه ليس بعيداً من هنا، كما أنك تمكثين هنا ضيفة عليّ.

فقالت:

ـ ضيفة عليك؟!.

وجمدت مكانها تحدق فيه بعينين واسعتين بينما دفع الباب يغلقه عليهما، ثم كررت تقول:

ـ ضيفة عليك؟ هل هذه شقتك؟.

فأجاب: «نعم. عندما أخبرني دايفيد أنك طلبت أن تقيمي في مكان قريب من مكتبه، أخبرته أن بإمكانك أن تقيمي هنا معي، وعلى كل حال، ثمة أشياء كثيرة علينا أن نناقشها، غير مسألة ميراثك».

أدركت إيموجين أنه كان ينظر إلى يدها اليسرى بشكل خاص. وهي اليد التي خلعت من اصبعها خاتم الزواج الذي ألبسها إياه، وألقت به إلى أبعد ما أمكنها من نافذة التاكسي أثناء رحلتها إلى مطار هيثرو. وقد أعمتها الدموع عن أن ترى أين استقر كما منعها من الاهتمام، قلبها المحطم.

قالت: «أتعني...».

ثم سكتت، واعية بشكل متوتر إلى نظرات دراكو الساخرة التي كانت تتابع كل حركة تقوم بها.

سألته وهي تهتز: «أتعني زواجنا؟».

ـ أعني زواجنا.

وعندما انحنى يحمل حقيبة ثيابها الخفيفة الوزن، تابع يقول:

ـ أتعلمين أنك، بالنسبة إلى امرأة ما زالت عذراء، تبدين... غير عذراء أبداً؟

حاولت إيموجين أن تقنع نفسها بأن الإحساس بالإغماء سببه قلة

www.hamsatrewaiya.com
Faten

الهواء في الممر وليس ما قاله دراكو. لكنها ما زالت تسمع نفسها وهي تقول بصوت أجش:

ـ وما... أدراك؟.

فقال: «إنك ما زلت عذراء؟ أنا أعلم كل ما يمكن علمه عنك يا إيموجين. فأنت زوجتي...».

زوجته!

وشعرت بالغثيان. زحف خوف بارد إلى أعماقها... لم يكن هذا ما توقعته، وما قوّت نفسها على مواجهته. طوال رحلتها الطويلة من ريو دي جانيرو، أرغمت نفسها على التغلب على الخوف الذي أطل برأسه في الكوابيس أثناء الأيام التي سبقت رحلتها. كان الرعب يتملكها من أن تكتشف، رغم كل إرادة ومنطق، أنه ما زال هناك بقايا فتدمر حياتها الجديدة وسكينتها النفسية التي جاهدت لاكتسابها، ولكن... الآن! الآن لم يكن حباً ذلك الذي كان دراكو يثيره في نفسها بل مزيجاً عنيفاً من الغضب والعداء.

www.hanasatrewaiya.com
Faten

نعم... هي عذراء... وهل هذه جريمة؟.

قالت ثائرة: «ليس لديك الحق في أن تتجسس عليّ...».

لكنه لم يسمح لها بأن تتابع كلامها فقال: «ما زلنا متزوجين. أنا ما زلت زوجك، وأنت زوجتي».

أشاحت بوجهها لتخفي ملامحها عنه، ربما كانا متزوجين في نظر الكنيسة، ولكن ليس في نظر القانون بكل تأكيد لأن زواجهما لم يتحقق عملياً. وهذا لا يعطي دراكو الحق أبداً في المطالبة بها زوجة له بصوت يوحي بأن... وهزت رأسها بضجر. ها هي تسمح لمخيلتها بأن تجنح بها إذ تتصور أنها سمعت في صوت دراكو نبرة التملك.

صدمتها كلماته. لماذا لم يدع دراكو ذكر الزواج جانباً؟ إنه على كل حال، يحب امرأة أخرى... زوجة أبيها!

حتى بعد كل تلك السنوات ما زالت تتعذب من فكرة وجود علاقة بين ليزا ودراكو... ليزا. أترى دراكو كان يحبّ ليزا أثناء حياة أبيها؟ أتراهما...؟ أتراه...؟.

وتتابعت فجأة إلى ذهنها كالعاصفة كل الأسئلة التي منعت نفسها حتى من التفكير فيها. ولكن استعادتها لهذه الصور أشعرتها بالغثيان، وجعلت الألم يغلي في داخلها. كان دراكو قد أوحى إليها منذ سنوات بأنه سيتزوجها ليحميها، بينما كل ما كان يريده حقاً هو حماية مصلحته الخاصة!.

وأغمضت عينيها شاعرة بالتعب. لقد جاءت إلى انكلترا لغرض واحد... غرض واحد فقط، وهو المطالبة بأي مبلغ من المال يكون حقاً لها. ولكي تقنع دراكو بأن يحوّل الأرباح التي تنتج من حصتها في الشركة، إلى اسم الجمعية الخيرية، وبهذا يمكن أن تتحوّل هذه الفائدة، في المستقبل من ميراثها إلى الجمعية رأساً. وأي شيء آخر...

وتنفست بعمق، محاولة أن تسيطر على الموقف:

ـ أنا لم أعد إلى الوطن لكي أناقش قضية زواجنا، يا دراكو. وقد سبق أن كتبت إلى دايفيد برايانت المحامي أشرح له ما أريد، وهذا...

فقاطعها: «لكي تعطي ميراثك لأعمال الخير. لا يا إيموجين. بصفتي الوصي عليك، لا سبيل إلى أن أكمل واجبي الأخلاقي نحوك إذا أنا وافقت على ذلك. وبصفتي زوجك...».

تمنت لو تستطيع أن تتحداه... وأن تضرب بالحذر عرض الحائط وتسأله، ثائرة غضباً، متى أصبحت الواجبات الأخلاقية ذات أهمية عنده. لكن غريزتها حذرتها من أن تتجاوز الحد.

إنها راشدة الآن، مثله تماماً. وليست طفلة يمكنه أن يفرض عليها ما يريد.

عدّت إلى العشرة تهدىء نفسها، ثم قالت: «المال قانونياً هو لي».

فقال يصحح كلامها بخشونة: «بل كان لك، لقد ألمحت إلى أنك لا تريدين ميراثك... ووضعت ذلك كتابة. تذكري!».

سحبت نفساً عميقاً مرة أخرى إذ يبدو أن الوضع أصعب مما كانت تتوقع. وقالت:

ـ لقد كتبت فعلاً لهنري هذا الكلام.

وسكتت لتسأله بهدوء: «متى مات؟ ليس لديّ فكرة».

كان دراكو قد أشاح عنها بوجهه، فظنت لحظة أنه إما لم يسمع سؤالها، وإما أنه لا يريد أن يجيب عنه... وإذا به يقول ببرودة من دون أن ينظر إليها:

ـ أصابته نوبة قلبية حالما... يوم زفافنا.

تملكها الرعب، وصدرت عنها آهة عذاب وكدر.

فتابع كلامه وكأنه لم يسمعها: «يظهر أنه لم يكن بصحة جيدة قبل الاحتفال. وعندما انهار خارج الكنيسة...».

وسكت بينما أخذت إيموجين تكافح الصدمة التي شعرت بها.

ـ ذهبت معه إلى المستشفى. كانوا يرجون حينذاك أن يتجاوز النوبة لكنه أصيب بنوبة أخرى أثناء وجوده في العناية الفائقة فكانت القاضية.

فهتفت وهي ترتجف: «هل كان ذلك... سببي؟».

قال دون أن يهتم بضراعتها لكي يطمئنها:

ـ كان تحت ضغط نفسي بالغ. موت أبيك سبّب له مقداراً ضخماً من العمل، ويبدو أنه كانت هناك دلائل لمشاكل في القلب تستدعي الحذر، لكنه تجاهلها. لم يكن شاباً، فهو يكبر أباك بعشر سنوات.

وسكت، ثم عاد يقول فجأة: «طلب مني أن أخبرك كم كان مزهواً

وهو يقدّمك في الكنيسة».

اغرورقت عينا إيموجين بالدموع، وتصوّرت محامي أبيها صبيحة زفافها، مرتدياً بذلته الرسمية الصباحية، وشعره الفضي ممشطاً بعناية. وفي السيارة التي أخذتهما إلى الكنيسة، أمسك بيدها وأخذ يربت عليها بشكل غير عادي. كان أرمل مثل أبيها، ودون أولاد.

أدركت من النظرة التي في عيني هنري، أنه مثلها، كان يفكر في أبيها في ذلك اليوم.

لقد أحزنها أن تعرف بموته من ابن أخته، لكنها لم تتصور قط...

قال دراكو يحذرها بخشونة: «لا تزعجي نفسك بالشعور بالذنب بسبب موته، لأن النوبة القلبية كانت ستحدث على كل حال، بوجودك أو بغيره».

ولكن بدلاً من أن تطمئنها كلماته الفظة هذه وتخفف عنها، زادتها حزناً. فقالت بهدوء:

ـ لا أريد أن أجادلك يا دراكو. أنت ولدت غنياً، ولكن لو أمكنك أن ترى حالة أولئك الأولاد المحزنة...

فقاطعها: «نعم، إنه سبب جيد هذا الذي جعلك تعملين في ذلك الملجأ. لقد أعلمتني مصادري...».

فقالت بغضب: «مصادرك؟ ليس لك الحق في أن..».

فعاد يقاطعها: «أتراك ظننت أنني سأسمح لك بأن تختفي هكذا بساطة، من دون أثر يا إيموجين؟ حتى ولو لأجل أبيك، إن لم يكن لسبب آخر، فأنا أدين له...».

قاطعته بمرارة: «لا أستطيع أن أصدق، حتى بالنسبة إلى شخص مثلك، أن ينحط إلى هذه الدرجة. فيراقبني ويتجسس عليّ».

قال باقتضاب: «تأثرك هذا زائد عن الحد. نعم، لقد قمت بتحريات لأتأكد من مكانك وماذا كنت تعملين ومع من. أي شخص

www.hamsatrewaiya.com Eaten

آخر كان سيفعل الشيء نفسه في تلك الظروف. كنت صغيرة ساذجة في الثامنة عشرة، وكان يمكن أن يحدث لك أي شيء».

قال هذا متأملاً بعبوس، فاضطرت إيموجين لأن تنبذ شعوراً أحمق بأنه كان مهتماً بها حقاً.

فقالت: «لا يهمني ما تقوله، يا دراكو، لأنني لن أذعن. الملجأ بحاجة ماسة إلى مال، وأنا أنبهك الآن إلى أنني مستعدة لأي عمل مهما كلفني لكي أحصل على أموالي».

الصمت الذي تلا انفجارها المحموم هذا سبّب وخزة من التوجس في نفس إيموجين. ذلك أن دراكو أخذ ينظر إليها وكأن... وكأن...

لماذا لم تلحظ قط، وهي فتاة، كيف بإمكانه أن يبدو ضارياً بهذا الشكل وكأنه شيطان! ارتجفت وأخذت على الفور تلوم نفسها لردة فعلها هذه.

وقال: «حسناً، أنت امرأة الآن يا إيموجين، ولم تعودي فتاة صغيرة، لا بد أنك أدركت الآن أن لا شيء في هذه الحياة يأتي من دون ثمن. لقد سلمتني ميراثك بكامل إرادتك ودون إكراه. والآن تريدين أن أعيده إليك».

فقالت بإلحاح: «إنه ملكي. شروط وصية أبي تقول إنه سيصبح ملكي إما عند بلوغي الثلاثين وإما عندما أتزوج. بحسب ما يحدث أولاً».

فقال وفي عينيه نظرة لم تفهمها: «إمممم..... أخبرتني أنتِ عما تريدينه مني يا إيموجين، ولكن ما الذي أنت مستعدة لأن تعطيني إياه مقابل موافقتي؟».

قطبت إيموجين حاجبيها. ما الذي بإمكانها أن تعطيه إياه؟.

وعاد يقول: «ما زلنا متزوجين، لأن زواجنا لم يُفسخ».

انبسطت أساريرها: «أنت تريد فسخ الزواج إذن!».

تكهنت ذلك متجاهلة طعنة الألم الحادة التي شعرت بها في قلبها، وركزت اهتمامها، بدلاً من ذلك، على الارتياح الذي أرادت أن تشعر به، وتابعت تقول:

ـ حسناً، طبعاً سأوافق، و...

فقاطعها: «لا. لا أريد فسخ الزواج. أنا بعيد عن ذلك».

* * *

www.hamasatrewaiya.com
Faten

٢ ـ جرح الكلمات

حملقت إيموجين في دراكو وكأنها لا تصدق ما سمعت ثم سألته:

ـ لا تريد فسخ الزواج؟ ماذا... ماذا تعني؟.

سمعت في صوتها تلعثماً وتوتراً فاحتقرت نفسها لهذا. لا يمكن أن يعني دراكو أنه يريد أن يبقى متزوجاً بها. هذا مستحيل!.

أخذ دراكو يلاحظها بدقة. فبصفته وصياً على إيموجين، كان واجبه الأخلاقي أن يحافظ على ميراثها لأجلها، وذلك ليحقق ثقة أبيها فيه. وكان هذا ما ينوي القيام به تماماً، وإذا كان في مساعدته لها ما يساعده على إنجاح هدفه الشخصي، فهذا أفضل! أما بشأن إخبارها بسبب... ولكن لا... فهذا خارج عن الموضوع كلياً. لقد تصرف القدر بسخاء نحوه إذ وضع بين يديه بعض الأوراق القوية، واستخدامها بنجاح يعود إليه الآن. وهو ينوي أن يستخدمها، ويربح!.

شعرت إيموجين برجفة متوترة تسري في جسمها وهي تنتظر جواب دراكو. كانت ملامحه صلبة غير مقروءة، وعيناه باردتين نائيتين وهو يقول:

ـ لا داعي لأن أذكّرك بمبلغ ما كان يعنيه أبوك لي.

فأجابت بلهجة غامضة: «ما أعرفه هو أنك تزوجتني لأجل وصيته».

أرادت أن تحذره بدهاء من أنها لم تعد تلك الفتاة الساذجة التي وثقت به بإيمان راسخ. لكنها صُدمت للسرعة التي فهم بها ما تعنيه. ورافق صدمتها هذه شعور بالتوجس، لأنها رأت سرعة توهج الغضب في نظرته وهو يسألها بنعومة متحدياً:

ـ وماذا يعني قولك هذا بالضبط؟.

سحبت إيموجين نفساً عميقاً. لن تسمح له بأن يواجهها بهذه الجسارة والتفوق! هناك الكثير مما هو رهن الظروف.

قالت بما استطاعته من هدوء:

ـ كنت صغيرة جداً عندما تزوجتك يا دراكو. وصية أبي، كما نعلم نحن الإثنين، تنصّ على أن لي الحق في السيطرة على حصتي في الشركة عند الزواج. وبما أنني كنت صغيرة، كان طبيعياً أن أذعن لرأيك بالنسبة إلى شؤون العمل، وهكذا سيكون لك السيطرة الكاملة على العمل... والدخل يتضاعف. ولكن إذا شئت أن تبيع الشركة وتستخدم تلك الفائدة لمصلحتك...

ـ ماذا؟.

وقف دراكو بذلك وقد بدا للحظة وكأنها صعقته. ثم تابع يقول:

«إذا كنت تعنين أنني تزوجتك ابتغاء ربح مالي، فدعيني إذن أخبرك بأنك بعيدة عن الحقيقة كثيراً. في الواقع، أنا أغنى مما كان أبوك... مع شكري لكل ما علّمني إياه».

وتملكها الغضب وهي تراه يحدّثها وكأنه يؤنب طفلاً. فسألته بحدة:

ـ ولماذا تزوجتني إذن؟.

ـ أنت تعلمين لماذا.

وأخذ يبتعد عنها كيلا ترى وجهه. وأحست أن سؤالها سبّب له شيئاً من عدم الراحة من ناحية ما. هل لأنه شعر بالذنب؟ ربما!.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

قالت بفظاظة: «نعم أعلم. وكيف لا أعلم؟ أبي كان...».

فقاطعها: «كان أبوك رجلاً احترمته أكثر مما احترمت أي رجل عرفته».

قال لها هذا وعيناه تحذرانها من الشك في صدق كلامه.

- في سنوات صداقتنا الأولى، تمنيت دوماً لو كان أبوك أبي. فأنا لم أحب أو أحترم أحداً كما أحببته واحترمته، كنت مزهواً بصداقته وثقته. كان كل شيء أردت أن أكونه. كان يملك من الصفات ما لم يكن أبي يملكه.

وسكت، بينما ابتلعت إيموجين غصة من المشاعر في حلقها.

هجر والد دراكو أمه حين كان دراكو طفلاً رضيعاً. فقد كان مقامراً وزير نساء، وقد قتل في مشاجرة حين كان دراكو في مستهل سني المراهقة.

وتابع دراكو يقول: «لم أفقد قط لا إعجابي ولا حبي لأبيك يا إيموجين، ولا الأمنية في أن تكون صلتنا، أنا وهو، برباط شخصي وأكثر حميمية».

وسكت بشكل ذي معنى، بينما تململت هي بقلق.

أدركت أنها، بشكل ما، ستقبل بالشروط التي سيفرضها دراكو... فهي لم تكن تريد بأي شكل أن تخيّب أمل الراهبات الآن، ولا تنوي القيام بأي شيء يمنعها من أن تكون قادرة على أن تحسن من أحوال الكثيرين ممن يعتمدون على الملجأ.

وكان دراكو يقول: «ليس باستطاعة أبيك أن يكون أباً لي، يا إيموجين. ولكن باستطاعته أن يكون جداً لابني... لابننا».

ابنه... ابنهما. وفتحت إيموجين فمها ذاهلة. لا بد أنها لم تسمعه جيداً.

وهتفت بذعر: «لا. لا يمكن أن تعني هذا».

لكنها رأت من ملامحه أنه كان يعنيه حقاً. وقفز قلبها داخل ضلوعها ثم تملكها دوار. وهمست بألم:

- لا. لا أستطيع! لا أريد. هذا ابتزاز يا دراكو. إذا كنت متلهفاً إلى طفل إلى هذا الحد...

فقاطعها ببرودة: «أنا لست متلهفاً إلى (أي) طفل، يا إيموجين. ألم تصغي إلى ما قلته؟ ما أريده هو حفيد لأبيك. أن يتصل دمي بدمه. وأنت الوحيدة التي يمكنك أن تضمني لي ذلك».

شهقت قائلة بغضب: «أنت مجنون. هذا أشبه بتصرف من العصور المظلمة... إنه... أنا لن أفعل هذا!».

قال بصوت ناعم إلى حد خطر: «إذن لن أعطيك أموالك».

فقالت بعنف: «بل ستعطينيها رغماً عنك. سأرفع عليك قضية بسرعة...».

لكنه قاطعها مرة أخرى وهو يهز رأسه قائلاً بفظاظة: «لن توافق أية محكمة على أن تتنازلي عما ورثته عن أهلك. خصوصاً إذا كان معروفاً أن والدك وضع وصيته بذلك الشكل خوفاً من عدم قدرتك على التصرف بالميراث بشكل حاذق».

حملقت إيموجين فيه ثائرة: «أنت لا تجرؤ؟».

لكن دراكو كان يبتسم لها بسخرية ابتسامة لم تصل إلى عينيه وهو يقول بنعومة: «جربيني».

هزت رأسها بغضب غير مصدقة. هذا أسوأ تحايل على المشاعر. ما الذي جعلها تقع في حبه؟ إنها، حالياً، تكرهه للغاية.

وقالت وهي ترتجف ووجهها يلتهب بالمشاعر: «لا يمكنك أن تفعل ذلك. ليتك ترى أولئك الأولاد... ليس لديهم شيء، يا دراكو. إنهم بحاجة ماسة إلى المساعدة!».

فقال بهدوء: «ويمكنهم أن يحصلوا عليها، يا إيموجين إنما ليس

www.hamsatrewaiya.com

من ميراثك. بصفتي الوصي عليك، لا أستطيع أن أسمح بذلك. ولكن...».

وسكت ونظر إليها وعيناه الثاقبتان تشتبكان بعينيها رافضاً أن يسمح لهما بالتحوّل، وكرر ببرودة:

ـ ولكن، بصفتي زوجك.

قال ذلك برقة زائفة جعلت قلبها ينقبض إزاء ما سيقوله.

وتابع يقول مؤكداً: «بصفتي زوجك، أنا مستعد لأن أعدك بأن أدفع مليون جنيه للملجأ الآن، ومليوناً آخر عندما تلدين طفلنا».

لو لم يسبق لإيموجين أن قررت بأنها تكره دراكو، لفعلت ذلك الآن. كيف بإمكانه أن يكون بهذه السخرية وهذه القسوة والفساد الخلقي فهو يرشوها...

مليونا جنيه؟ لا بد أنه غني جداً طالما أنه قادر على أن يمنح كل هذا المال بسهولة فقط لكي... نعم... كانت تعلم أنه كان يحب أباها ويحترمه. ويمكنها حتى أن ترى لماذا يريد أن ينجب ولداً يحمل دماء أبيها.

ولكن أن يتصرف بهذه الطريقة، وهو يعلم أنه يرغمها على معاشرته مع أنه لا يحبها... ولم تستطع أن تمنع نفسها من الارتجاف اشمئزازاً.

قالت: «أنا... أنا بحاجة إلى وقت للتفكير».

ـ لتفكري أم لتهربي مرة أخرى؟ ظننت أن ذلك الملجأ الخيري ذو أهمية كبرى عندك. ولكن يبدو...

صرخت به وهي تغطي أذنيها بيديها: «كفى».

ثم أشاحت بوجهها عنه.

أفزعتها قسوته، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الإقرار بحقيقة ما يقول. عندما فكرت في ما ستفعله النقود لأولاد ربو دي جانيرو

المتشردين، أدركت أنه ليس بإمكانها أبداً أن تقدّم مطالبها على تعاستهم.

وقال: «هل نعقد صفقة... لجمعيتك الخيرية مليونان، ولي أنا زوجة وأعد نفسي بأن تنجب حفيداً لأبيك؟».

استطاعت إيموجين ألا تظهر لهفتها إلى الرفض. استجمعت كل شجاعتها، وسحبت نفساً عميقاً، ثم قالت موافقة بصوت أجش: «نعم».

* * *

نظرت إيموجين بكآبة من نافذة سيارة دراكو الفضية الفارهة... وهما يسرعان في الريف الإنكليزي الأخضر. لم تسأله إلى أين هما ذاهبان، بل لم توجه إليه أي سؤال أو حديث على الإطلاق. لم تتحدث إليه منذ استيقظت في شقته وليس في سريره في بداية النهار. لقد أعفاها من ذلك حتى الآن، إذ نامت وحدها في غرفة ضيوفه.

لم يكن لديها فكرة إلى أين كانا ذاهبين وليس في نيتها أن تسأله. لقد عقدت معه صفقة... صفقة قذفته بها بعينين ملتهبتين وفم مزموم غضباً، محاولة أن تذكّر نفسها بأن عرضه هذا يحقّره أكثر مما يحقّرها. فكان كل ما أخبرها به بعد موافقتها أنه سيأخذها إلى المنزل الذي سيكون بيتها.

سمعته يقول لها بجفاء: «كفّي عن التصرف وكأنك الملكة في مأساة مسرحية، يا إيموجين. هذا لا يناسبك، هذا إلى أنك لست بحاجة إلى ذلك».

انفجرت تقول: «لا حاجة لذلك؟ بعد ما فعلته؟».

نظر إليها متأملاً: «بعد ما فعلته؟ أنا لم أفعل شيئاً عدا عرض صفقة عليك».

www.hanasatrewaiya.com
Faten

بدا السخط في عينيها: «صفقة؟ أنت تبتزني لكي أنجب طفلاً منك».

وأشاحت بوجهها عنه بسرعة قبل أن يرى المشاعر التي كانت تكافح لكي تخفيها، ثم عادت تقول:

ـ ما الذي سيحدث عندما تحصل على طفلك، يا دراكو؟.

فقال متحدياً بحدة: «وماذا سيحدث برأيك؟ لن يهجر الطفل أي من أبويه، يا إيموجين».

قالت: «وهل تتوقع مني أن أبقى متزوجة بك».

لم يكن ما شعرت به ينتشر في جسدها المتوتر، هو ارتياح في الحقيقة.

ـ ما أتوقعه هو أن نبقى، أنت وأنا، متزوجين ما دام طفلنا بحاجة إلينا معاً. ما الذي كنت تتوقعينه؟.

ألقى عليها هذا السؤال وهو كان يستدير حول منعطف صعب ببراعة تامة.

هزت إيموجين رأسها لأنها لا تريد أن يرى مدى ارتياحها لأنه لن يفصل بينها وبين ولدها. لن يبعدها ويربي ولده وحده، لأنها كانت تعلم أنها لن تستطيع أن تبتعد عن طفلها.

قطبت جبينها عندما ميّزت أخيراً المنطقة الريفية التي كانا يسيران فيها وازدادت خفقات قلبها عندما أدى بهما الطريق إلى القرية التي نشأت فيها... في آخر شارع القرية، استدار دراكو إلى اليسار، ثم بدا الطريق الضيق ينحدر. ورغم أنها لم تسلك هذا الطريق، منذ أربع سنوات، إلا أنها كانت تتذكر كل إنش فيه. من هذا الطريق كان دراكو يأخذها إلى المدرسة.

ومن هذا الطريق أخذها حين جاء ليراها بعد أن مات أبوها. ومن هذا الطريق سارت إلى الكنيسة إلى عرسها.

قالت بلهجة تقرير واقع أكثر منه سؤالاً: «أنت اشتريت بيتنا القديم؟».

وكان صوتها فاتراً وهي تكافح للسيطرة على مشاعرها.

فأجابها بجمود: «كنت أفاوض بشأنه قبل زفافنا. وكان مفروضاً فيه أن يكون هدية الزفاف المفاجأة لك. كنت أعلم أنك تكرهين فكرة أن تبيعه ليزا... وعندما أصبح واضحاً أنك لن تعودي لتجمعي هدايا الزفاف مني أو من أي شخص آخر، كان الوقت قد فات على التراجع عن صفقة الشراء... كان بإمكاني أن أعود فأبيعه، ولكن....».

كان قد استدار إلى طريق المنزل المألوف، وللحظة، شعرت إيموجين تقريباً بأنها إذا أغمضت عينيها ثم عادت ففتحتهما، سترى أباها قادماً مسرعاً إليها. لكن أباها كان ميتاً... وإذا بشيء في صدرها يموت الآن كذلك.

قالت بجفاء وهما ينزلان من السيارة: «ما زال يبدو كما تركته».

كان غريباً بالنسبة إليها. كان رجلاً تشمئز منه، ومع ذلك، هذه الليلة سوف...

وبينما راحت تكافح للسيطرة على رجفة الخوف التي تملكتها، كان هو يفتح الباب.

فقال: «حسناً، ستجدين بعض التغيير في الداخل. وقد تركت غرفة أبيك كما كانت. ولكن....».

وسكت، ثم أشاح بوجهه عنها، وقد تهدج صوته بشعور لم تستطع أن تحلله:

ـ أنا نفسي لم أستعمل البيت كثيراً. ولكنني أحدثت بعض التغيير في بعض الغرف الأخرى.

وعندما نظرت إليه متسائلة، التفت يواجهها، قائلاً بخشونة:

ـ لم أظن أن أباً منا سيستعمل الغرف التي كان يستعملها أبواك.

www.hamasatrewaiya.com
Faten

وهكذا بنيت غرفة نوم رئيسية جديدة ومبنى زجاجياً لاستنبات الأزهار، فقد أخبرني أبوك أن أمك لطالمت رغبت في ذلك وبما أن قلبه لم يسمح له بأن يبنيه بعد موتها، فكرت في . . .

وسكت ضاغطاً شفتيه وهو يدفع الباب يفتحه دون أن يخبرها عما فكر فيه.

اكتشفت إيموجين أنها كانت ترتجف وهي تتبعه إلى الداخل. على هذه الدرجات السفلى انهار عالمها كله بقسوة ليزا، وعلى هذه الدرجات هربت بسرعة لتنجو من دراكو وزواجها به . . .

كان ذوقها قد تغير ونضج في السنوات الأخيرة. وأدركت بوخزة ألم حادة، مبلغ ما كان عليه بساط السلم الأحمر الذي اختارته أمها، من طراز عتيق ورثاثة. استطاعت أن تحس تقريباً بما كان عليه المنزل من عزلة وانعدام حب. كان الغبار يتراقص في أشعة الشمس، ويغطي المنضدة الموجودة تحت مرآة الجدار المزخرفة التي اشتراها أبواها، في شهر عسلهما.

كانت أمها ربة منزل رائعة قبل مرضها. وشعرت إيموجين فجأة بأنها تحترق لكي تعيد البيت إلى الحياة، لتعيده إلى ساحة حب كما تتذكره. وإذ ضايقها ضعفها، قالت لدراكو بحدة:

ـ لماذا أحضرتني إلى هنا بالضبط؟ عدا عن السبب الواضح طبعاً.

وأضافت بغضب: «عليّ أن أعترف بأنني دهشة لأنك لا تريد أن تنجب هذا الطفل في سرير أبي».

سكتت في منتصف الجملة، لأن النظرة في عينيه جعلتها تصمت مصعوقة. وكانت هذه النظرة أخطر بكثير من أي تحذير شفوي يمكن أن يكون.

وعندما أرغمها على أن تخفض نظراتها، قال بهدوء:

ـ لقد أحضرتك إلى هنا لأن هذا سيكون بيتك من الآن فصاعداً.

فقالت متكهنة وهي تفكر في الغبار الذي رأته:

ـ لكنك لا تسكن هنا.

فأجاب: «نعم. لم أكن أسكن هنا. إذ لم يكن هناك فائدة من ذلك، أما الآن. . . أرى أن الشقة في المدينة ليست مكاناً مناسباً لتربية طفل».

فقالت: «ولكنك ستمضي دوماً بعض الوقت في المدينة».

ألحّت عليه بالسؤال وهي تدعو الله أن يقول إن هذا صحيح. وأن يقول أيضاً إن زياراته إلى هنا وإلى البيت وإليها، وإلى السرير الذي سيرغمها على مشاركته فيه، ستكون نادرة ولوقت قصير.

ولكن بدلاً من أن يجيبها مباشرة، أدهشها بأن سألها بنعومة:

ـ ما الذي تخشينه في العلاقة الزوجية بالضبط حتى تخافي إلى هذا الحد، يا إيموجين؟.

قالت منكرة بسرعة: «لا شيء. أنا لا أخاف العلاقة الزوجية».

كانت تعلم أن وجهها يلتهب حرارة وخجلاً. . . لا بد أنه رآه قبل أن تشيح بوجهها عنه، وهي تنكر بعناد:

ـ ليس العلاقة الزوجية، بل أنت، والطريقة التي . . .

فقال: «لا أصدقك. لأن امرأة في سنك ما زالت عذراء، يعني . . .».

فقالت تتحداه على الفور: «يعني ماذا؟ أنني صعبة الاختيار بالنسبة إلى من أعطيه . . .

كانت تريد أن تقول: أعطيه حبي، لكنها صححت كلامها فقالت بدلاً من ذلك:

ـ أعطيه نفسي.

فقال: «يعني أنك تخافين من شيء ما. هل هذا صحيح يا إيموجين؟ هل أنت خائفة؟».

www.hamsatrewaya.com
Faten

سألها هذا بلطف، فأجابت منكرة بعنف: «لا».

لكنها كانت تعلم أنها تكذب. فقد كانت خائفة. خائفة جداً، لأن العلاقة الزوجية بالنسبة إليها لا تنفصل أبداً عن مشاعر الحب. وكانت خائفة حتى الموت من أن. . .

من أن ماذا؟ أن ارغامها على معاشرته لكي ينجبا الولد الذي يريده. سيرغمها، بشكل ما، على أن تعود فتحبه مرة أخرى؟ وكيف يمكن ذلك؟.

الليلة الماضية، وهي مستلقية في غرفة الضيوف في شقة دراكو، حدثت نفسها بأن ما كانت تضحي به لا يوازي ما ستربحه الجمعية الخيرية، وأنها أكبر سناً من أن تأسف على نفسها. ولكن مهما بلغت محاولاتها في أن تكون منطقية في تحليل ما حدث، فإنها لم تساعدها على تخفيف الألم الحاد في قلبها أو الخوف الذي يصحبه.

عندما ابتعدت عن دراكو وسارت في الممر، متجهة غريزياً إلى مكتب أبيها، سمعته يقول بجفاء:

ـ هناك فرقة من المنظفين من القرية تأتي مرة في الشهر فينظفون المكان كله، كما طلبت منهم أن يملؤوا الثلاجة والبراد. إذا كان تسوقهم يشبه تنظيفهم، فالأفضل إذن فحص ما في البراد. لقد حجزت مائدة للعشاء في مطعم «إمبوريو» لهذه الليلة، وأظنك ما زلت تحبين الطعام الإيطالي.

قالت دون أن تستطيع إخفاء السخرية في صوتها:

ـ هل ستأخذني إلى العشاء في المطعم؟ لماذا لا تأخذني مباشرة إلى السرير؟ لماذا تضيّع الوقت. . . والمال؟ أنسيت أنك تعهدت بدفع مليونين لأجل ذلك؟.

فقال: «اخرسي حالاً».

شهقت وهي تراه يجتاز المسافة التي تفصلهما بسرعة مفزعة، ثم

يمسك بذراعيها، غارزاً أصابعه في لحمها الطري، هازّاً إياها قليلاً:

ـ أنت زوجتي يا إيموجين، ولست مومساً مأجورة، وإذا أردت أن أتودد إليك. . .

شعرت إيموجين بضحك هستيري يضطرب في صدرها، وقالت بلهجة لاذعة:

ـ تتودد إليّ؟ وما الذي يجعلك تفعل ذلك؟ فكل ما تريده في الحقيقة هو طفل وحفيد لأبي؟ ويمكنك أن تفعل ذلك دون أن تنفق ثمن عشاء لي، والواقع أنك لا تهتم ما إذا كنت أنا أريد ذلك أم لا.

تركها دراكو بسرعة شعرت معها بالصدمة. وإدراكها المخزي بأن جزءاً منها افتقد حرارة يدي دراكو على ذراعيها أغضبها وأخافها. وحدثت نفسها بأن ذاكرتها هي التي تعبث بها مذكرة إياها بذلك الوقت الذي كانت ترحب فيه بلمساته وترغب فيها؟ لا ليس هذا فحسب بل هي تتوق إليها متلهفة. . . وتجوع إليها وإليه. كان هذا وصفاً أكثر دقة بكثير. وأجفلت قليلاً وهي ترى النظرة الغاضبة التي كان دراكو يرمقها بها.

هز رأسه وقد زم شفتيه: «ما أريده وما أنويه لهذا الطفل، طفلنا، هو أن يولد إن لم يكن نتيجة حب متبادل، فعلى الأقل نتيجة بهجة متبادلة».

صعقتها كلماته فدفعت رأسها إلى الخلف برعونة، ثم سألته:

ـ وكيف سيحدث ذلك حين لا تكون هناك طريقة تجعلني أرغب فيك على الاطلاق.

نظر إليها بصمت كادت تسمع معه دقات الثواني.

ماذا استطاع أن يرى. . .؟ وماذا كان يريد أن يرى؟ وتسمرت نظرات دراكو على ملامح وجهها الجميلة، متشبثاً بها بشكل أعنف من تشبث يديه بذراعيها منذ برهة. وكادت تشعر تقريباً بتأثير نظراته

www.hamasatrewaiya.com
Faten

فيها... في قلبها... وكيانها... وحواسها كلها...

وقالت: «ليس هناك ما يمكنك عمله أبداً لكي تجعلني أرغب فيك يا دراكو. هل تسمعني؟».

العنف الهائج في تكرارها لكلماتها أخافها، لكنها رفضت أن تعترف بخوفها وبحماقتها.

فسألها بنعومة: «هل تتحديني، يا إيموجين؟ إذا أردت مني أن أبرهن أنك مخطئة، فيمكنني أن أعدك بأنني أكثر من راغب في القيام بهذا العمل، أكثر من راغب بكثير».

أكد لها هذا بلهجة ذات معنى.

أخذت حواسها التي ازدادت حدة تنقل إليها كل ما يحدث...

رائحة الغبار في الجو، أشعة الشمس الدافئة المتسللة من النافذة التي لا سبيل إلى تشبيهها بتلك الحرارة اللاهبة التي تراها منبعثة من عيني دراكو.

ارتجفت ولكن ليس بسبب البرد، بل لأن مشاعر كانت تظنها ماتت منذ زمن طويل، عادت إلى الحياة داخلها.

همست بألم: «لا! لا. لقد انتهى ذلك. مات...».

لم تعد تحب دراكو ولن تسمح لنفسها أبداً مرة أخرى بأن تحبه.

أخذت نفساً مرتجفاً، وتقابلت أعينهما:

- لا يمكنك ذلك.

أنكرت ذلك وهي تحاول جاهدة تصديق كلامها. فقال بصوت خافت:

- لا؟ راقبيني! راقبيني فقط. وعندما تكونين مستلقية على سريري، وذراعاي تضمانك، وأنت راغبة فيّ، فسأذكرك بهذه اللحظة.

***

٣ - النصف الآخر للحياة

ابتعدت إيموجين عن نافذة غرفة طفولتها، ثم نظرت إلى ساعتها. إنها السابعة والنصف. قريباً جداً ستنزل إلى الطابق الأسفل إلى دراكو الذي نبهها بأنه سيصعد وينزلها بنفسه إن لم تكن جاهزة في الثامنة.

وعندما سألته بإحباط وغضب بالغين:

- لماذا تفعل ذلك؟.

واجهها ببرود: «ولماذا تفعلين أنت ذلك؟».

جعلها تصرف بأسنانها غاضبة عاجزة فقالت: «أنت تعلم لماذا أفعل ذلك... لأن ليس لديّ أي خيار».

فكان أن رد عليها مندفعاً: «بل لديك بالتأكيد. يمكنك أن تختاري الذهاب، إذا شئت».

ولكنها جادلته بمرارة: «الملجأ بحاجة إلى مال، وأنت تعلم هذا».

وهذا صحيح. وما هو صحيح أيضاً هو أنها لا تستطيع أن تواجه نفسها إذا لم تقدم كل ما يمكنها من مساعدة. ربما يشعر جزء منها بالذنب في أعماقها لامتناعها عن هذه المساعدة كل تلك الفترة الطويلة. لكن زوال خوفها من سيطرة الماضي عليها استغرق وقتاً طويلاً. وكذلك زوال خوفها من الحب الذي كانت تشعر به سابقاً نحو

www.hanasatrewarya.com
Faten

دراكو. لكنها الآن قد تغلبت على ذلك الخوف!.

ولكن أن تسمح لدراكو بأن يكمل زواجهما... أن يحصل على طفل منها! وتحولت نظراتها، بالرغم عنها، إلى نافذة غرفة نومها. هل لديها الحل حقاً؟ والشجاعة لتفعل ذلك؟.

من هذه النافذة اعتادت، مرات لا تحصى، أن تنتظر عودة أبيها إلى البيت. كانت تركع على الأريكة بجانب النافذة ومرفقاها على العتبة، رافعة رأسها وهي ترهف أذنيها لسماع ذلك الصوت المألوف لسيارة أبيها. وما إن تسمعه حتى تندفع هابطة السلم لتقذف نفسها بين ذراعيه في أسرع وقت ممكن.

حتى في الأيام المظلمة عندما كانت أمها تحتضر، لم يتأخر أبوها قط عن اعطائها الحب والطمأنينة فضلاً عن الكثير من وقته وانتباهه.

ثم جاءت الأيام الأكثر ظلمة حين تزوج ليزا. عندئذ، أصبح دراكو الشخص الذي تتوجه إليه ابتغاء السلوى والتعزية. دراكو من أخذت تنتظره بفارغ الصبر لتراه قادماً إلى المنزل وذلك من غرفتها حيث الملجأ والملاذ.

www.hamasatrewaiya.com
Faten

كان أبوها شغوفاً ببيته. وكان أخبرها مرة أن بيته، بالنسبة إليه، يمثل كل ما يجب أن يكون عليه بيت أسرة. وغالباً ما كان يقول لها أثناء فترة نموّها:

ـ يوماً ما، ستحضرين أولادك إلى هنا لكي يروني، يا إيموجين.

كان متشوقاً ليصبح جداً. وأخذت الرؤيا تغيم أمام عينيها.

ولد... ولد هو جزء منه وجزء منها ومن دراكو. كان أبوها سيحب ذلك كثيراً، وسيحب ذلك الولد كثيراً جداً.

ولد... ولد دراكو. كم من المرات جلست إلى هذه النافذة وهي تتخيل حدوث ذلك! كم من المرات جلست وهي تفكر في أن دراكو يحبها وأن ثمرة هذا الحب سيكون طفلاً... طفلهما...

دراكو يحبها! وغالبت بغضب دموعاً تجمعت في عينيها. دراكو لم يكن يحبها. كل ما في الأمر أنه يريد أن يشارك أباها رابطة الدم، وقد أخبرها بذلك بنفسه.

ومع ذلك، وهي تبتعد عن النافذة، كانت ترى الثلاثة سائرين معاً على طريق المنزل: دراكو، وهي نفسها، وبينهما غلام داكن الشعر أخضر العينين، ورث عن أبيه بنيته القوية، وعن جده ابتسامته العطوف المحبة.

وهمست توبخ نفسها وهي تتناول سترتها وحقيبة يدها وتتوجه نحو الباب:

ـ لا بد أنني مجنونة.

لم يكن ثمة سبيل يجعلها تفعل، عن طيب خاطر، ما كان يرغمها عليه، ولا سبيل أيضاً إلى إنكار ذلك الحب الأمومي العنيف الذي شعرت به بحدة بالغة نحو ذلك الصبي الذي رسمته لها مخيلتها الغادرة.

وعندما فتحت الباب، رأت دراكو يتقدم نحوها.

كان بعكسها، قد غير ملابسه وارتدى بنطلوناً من الكتان وقميصاً قصير الكمين.

فكرت إيموجين بذهن شارد ونظراتها على ذراعي دراكو البرونزيتين، في أن صيف إنكلترا كان جيداً هذه المرة. ولكن كان دوماً في ذراعيه شيء ما يجذبها، ويرسل هزة في مشاعرها الفتية... مجرد التفكير في ذراعيه هاتين وهما تطوّقانها بحنان وحماية، كان كافياً لكي يطلق في نفسها ذلك الشعور الحار بالشوق.

وفيما بعد، عندما كبرت، أخذ خيالها يجنح أكثر وبدأ حبها يكبر ويكبر في قلبها، مهدداً بالانفجار في أية لحظة.

رأت إيموجين أنه لم يغير ثيابه فقط بل اغتسل أيضاً وهذا ما جعلها

تشعر بعدم الراحة لأنها ما زالت ترتدي الملابس نفسها التي جاءت بها من المطار. فقد رفضت أن تسمح لنفسها بأن تغير ملابسها لكي تريه كم أن صحبته ورأيه بها، عديما الأهمية بالنسبة إليها. أما الآن، فلم تشعر بذلك التشفّي الذي اعتادته بل بشعور غير مرغوب فيه أبداً، ملؤه عدم الارتياح والقذارة وهذا ما جعلها تتخلل شعرها المتشابك بأصابعها.

فقال: «هل كنت مشغولة إلى حد لم تجدي فيه وقتاً لتغيير ملابسك؟ لا بأس، أنا واثق من أن «لويجي» سيتفهم الأمر».

سألته: «هل أخبرت لويجي بأنك... بأننا...».

أجاب: «أخبرته بأنك ستكونين ضيفتي على العشاء. أما زلت تحبين حلوى الإجاص واللوز، وآيس كريم العسل؟».

تجاهلت كلامه عن حبها المراهق للحلوى التي كانت مفضلة لديها في ذلك المطعم الإيطالي، وسألته بعنف:

ـ ما الذي أخبرته به غير هذا؟.

هز كتفيه منكراً: «لا شيء».

إزاء جوابه هذا، أخذت تجاهد لكي تفهم لماذا تشعر بالغضب بدلاً من أن تشعر بالراحة لأن دراكو لم يذع بين الناس شيئاً عن زواجهما.

فقالت: «ولكن ستُضطر إلى أن تقول شيئاً. لا يمكننا أن نبدأ فجأة بالعيش مع بعضنا البعض كأي زوجين عاديين».

هز دراكو كتفيه مرة أخرى:

ـ سأخبر الناس إذن ما يريدون أن يسمعوه.

سألته: «وما هو»؟.

ـ هو أنه حدث تقارب بيننا. موافقة متبادلة، على أن نمنح زواجنا فرصة ثانية.

فقالت: «فرصة ثانية؟».

لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تتساءل، لكنها عادت فندمت بعد

أن رأت النظرة التي رمقها بها: «أغلبهم يفترضون، أننا كنا عشيقين قبل الزواج. وأنا لا أظنك تريدين أن يعلم الناس أنك ما زلت عذراء».

فشعرت بوجهها يحمرّ: «لا يملأنّك الغرور فتظن أن لعذريتي علاقة بك».

ألقت هذه الكلمات في وجهه بطيش غير واعية إلى ما قد تعنيه أو ما الذي قد تكشف عنه:

ـ الحقيقة هي أنني لم... أنني... حسناً، هذا شأني الخاص ولا علاقة لأحد به.

كان دراكو في هذه الأثناء قد توجه نحو السلم فتبعته بحركة آلية. وعندما وصلا إلى ممر الردهة قال:

ـ انتظري لحظة.

أخذت تراقبه بحذر وهو يمدّ يده إلى جيبه ويخرج علبة صغيرة قائلاً ببرودة:

ـ ستحتاجين هذا. لاحظت أنك لا تلبسين الخاتم الأصلي، وكان علي أن أخمن الحجم المناسب. فأنت أنحف مما كنت...

ودون أن ينتظر أن تأخذه منه، فتح العلبة وكشف عن «خاتم» زواج يشبه الخاتم السابق الذي أعطاها إياه فخيّل لإيموجين بأنه الخاتم نفسه.

لطالما تمنت لو أنها لم تتركه خلفها عند هربها... خاتم الخطبة الذي لم تكن تلبسه يوم الزفاف وكان دراكو قد صممه لأجلها. كان حديث الطراز يجمع الماسات الثلاث التي كانت أصلاً في خاتم أمها. لقد كانت هذه الأحجار تعني لها الكثير وهذا ما جعل عينيها تغرورقان بالدموع.

وهمست: «خاتمي».

وعندما مدت يدها لتأخذه، أمسك بيدها وقال: «قد يكون كبيراً

www.hamsatrewaiya.com
Faten

على يدك الآن».

أخذت ترتجف، وذهب بها الفكر إلى ذلك الزمن، حين كانت في الكنيسة تنتظر أن يلبسها دراكو خاتمه.

والآن، وهو يضع الخاتم البارد في إصبعها، تذكرت بالضبط ما شعرت به حينذاك من أن زواجهما لا يعني له أكثر من مجرد معاملات مالية.

كان الحق معه، فقد كان خاتم الخطبة واسعاً بعض الشيء. وفجأة، شعرت بصعوبة غير عادية في التنفس. وشعرت بتقلص بالغ في الصدر وراح قلبها يدق بعنف بين أضلعها، وكأن كل هذا كان يحدث بحركة بطيئة. كانت واعية إلى دراكو يراقبها، منتظراً، ثم يرفع يدها إلى فمه.

لا... وجذبت نفسها مبتعدة عنه بذعر بينما كلمة الرفض هذه تنسلخ من حلقها. كان قد قبّل يدها في الكنيسة، فاحتكت شفتاه الدافئتان بأصابعها الباردة، ما جعلها ترتجف بعنف. وتوهج قلبها بعنف شوقاً إليه. ومع ذلك وبالرغم من ذلك الشعور، لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تلقي عليه ذلك السؤال الذي حطم أوهامها الحمقاء. ما الذي كان سيحدث لو أنها بقيت صامتة؟ ولكن لا. يجب عليها ألا تفكر حتى في إلقاء هذا السؤال على نفسها. هل كانت تريد حقاً أن تعيش جاهلة الحقيقة؟ لا. لم تكن تريد هذا طبعاً.

أسرعت نحو باب الخروج، غير قادرة على النظر إلى دراكو. بهرتها شمس الأصيل الدافئة لحظة، وهما خارجان، وشمّت شذا الورود في الحوض الملاصق للباب. وكانت هذه ورود أمها المفضلة. وغمرتها موجة من الحنين والألم. ما أكثر الذكريات في هذا البيت، ذكريات من ماضيها. التفكير في ابنها وهو ينمو هنا أثار مشاعرها إلى حد لا يُطاق.

وقفت جامدة، وقد غرقت في أفكارها، وأخذت تحدّق بعيداً دون

أن ترى شيئاً. المستقبل بتعقيداته والآمه العاطفية التي أخذت تهددها... كل هذا منبسط أمامها الآن بشكل غامض مظلم.

وسمعت دراكو يقول ساخراً: «إذا كنت تفكرين بتغيير رأيك، لا أنصحك بهذا».

قطبت جبينها عندما اخترق صوته تأملاتها. بدا لحظة وكأن دراكو خائف فعلاً من أن تغيّر رأيها. لا بد أنه متلهف لذلك الطفل. هل هذا هو السبب الذي جعله لا يتزوج ليزا؟ لأنه لم يشأ أن يكون ابنه ابنها؟ ولم تعجب إيموجين كثيراً تلك الفرحة التي بعثتها فيها هذه الفكرة.

* * *

ـ آه، أنت لم تتغيري البتة... لا... بل أصبحت أجمل من أي وقت مضى.

كان «لويجي» يقول هذا لإيموجين بصوت ينبض بالمشاعر وهو يقودهما إلى مائدتهما.

فسأله دراكو بجفاء: «ما دامت لم تتغير، فكيف أصبحت أجمل، يا لويجي؟».

أجاب لويجي بثقة: «حينذاك كانت فتاة رائعة الجمال، أما الآن...».

وتوهجت عيناه بإعجاب وهو يتأمل إيموجين بطريقة لا تُغتفر إلا لرجل إيطالي:

ـ أما الآن، فهي امرأة رائعة الجمال! وأي امرأة! آه، يا إلهي! إنك رجل محظوظ يا صديقي لأن لديك زوجة بهذا الجمال.

إذن فقد تذكر لويجي أنهما كانا متزوجين!.

وقال دراكو بابتسامة عريضة:

ـ حسناً، وأي واحد منا يمكنه أن يتذكر كيف كان شكلها بعد درس من دروسك في أكل المعكرونة.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

كان الجفاء في صوته يتناقض مع التسلية الصادقة في عينيه ما جعل إيموجين، بشكل ما، غير قادرة على تحويل نظراتها عن وجهه. هذا الوجه الذي بدا فجأة، وبشكل خطر، أشبه بوجهه الذي تتذكره من سنوات المراهقة. عيناه دافئتان مداعبتان، وشفتاه ملتويتان بتلك الابتسامة الجذابة التي كانت تدخل البهجة إلى نفسها. كان مطعم لويجي هو المفضل دوماً لديها. إنه المكان المرتبط بالأوقات السعيدة في حياتها.

كان لويجي يبتسم وهو يقودهما في المطعم المزدحم إلى المائدة التي كانت مائدة أبيها المفضلة.

قال: «لقد حجزت لكما مائدة خاصة».

شعرت بغصة في حلقها، وألقت على الفور بذراعيها حول جسم لويجي البدين، بعناق سريع. وبادلها هو العناق بحماسة، ثم تركها بشكل مفاجيء غير متوقع، وتراجع إلى الخلف وهو يعتذر لدراكو.

نقلت إيموجين نظراتها عابسة من وجه دراكو الذي أصبح الآن ممتعضاً، إلى وجه لويجي المعتذر، غير قادرة على أن تفهم ما يحدث.

قال لها لويجي: «نسيت أنك لم تعودي فتاة صغيرة بل امرأة متزوجة».

قال لها ذلك ولكنه كان ينظر إلى دراكو أثناء كلامه.

عندما جلسا، وأسرع لويجي يحضر لهما قائمة الطعام، قال لها دراكو بهدوء:

ـ يعجبني أكثر ألا تعبثي مع الرجال الآخرين.

فقالت غير مصدقة: «أعبث. لم أكن أعبث. كنت فقط...».

وسكتت. لماذا تزعج نفسها بالدفاع عن نفسها؟ إنها لم تخطىء. كل ما فعلته هو أنها عانقت لويجي، ومن السخافة أن يتهمها دراكو بالعبث.

قال لها بصوت خافت لا يسمعه غيرها:

ـ ربما لا تزالين عذراء، يا إيموجين، ولكن هذا لا يجعلك ساذجة كلياً. أنت امرأة متزوجة... زوجتي.

قاطعته بعنف: «لا أصدق ما أسمعه. كنت أعانق لويجي وهذا كل ما في الأمر. لم يكن شيئاً هاماً على الاطلاق».

فأسكتها عابساً: «قد لا يكون أمراً هاماً بالنسبة إليك ولكنه أكثر بكثير مما حصلت عليه منك».

فقالت بسرعة: «أنت أمرك مختلف».

وسرعان ما تمنت لو أنها لم تقل له ذلك عندما رأت ملامحه، والتوت معدتها متوترة.

قال دراكو: «نعم. أمري مختلف. فأنا زوجك».

وسكت عندما جاء النادل يحضر إليهما قائمة الطعام. وانتظر إلى حين ذهابه، فعاد يقول لها ببرودة:

ـ أتوقع منك أن تنقلي أغراضك إلى غرفتي قبل مساء غد.

تساءلت إيموجين عما إذا كان يعلم بالضبط ما هو تأثير كلماته عليها، وما بعثت فيها من الذعر والصدمة. وفي محاولة منها لإخفاء هذه المشاعر، أمسكت بقائمة الطعام.

أخفت وجهها خلفها وهي تقول بوقاحة:

ـ هل هذا تهديد بإغرائي؟

عندما لم تسمع منه جواباً فورياً، أنزلت قائمة الطعام بحذر، شاعرة بغبطة لأنها استطاعت أن تسدد ضربة إلى ذلك الدرع الصلب الذي لا يمكن اختراقه والذي جذبها ونفّرها معاً منذ عرفته. ولكن عندما رأت وجهه، ارتجفت يدها الممسكة بالقائمة بشكل مكشوف.

وكان يقول: «آه، لم يكن ذلك تهديداً، يا إيموجين. بل هو وعد بأن أجعلك تهتفين باسمي بشوق في ظلام الليل. أجعلك

www.hamsatrewaya.com
Faten

تتلهفين إلى...».

قاطعته: «لا!».

اختنق هذا الرفض في حلق إيموجين عندما جاء النادل فجأة يسألهما ماذا يطلبان. كانت تعلم أن وجهها يلتهب احمراراً وأفكارها مزيج مشوّش من الغضب وعدم التصديق.

كيف يمكن لدراكو أن يحدثها بكلام كهذا، وفي اللحظة التالية يحدث النادل بكل هدوء عن أنواع الطعام والشراب التي يريدها؟ وعندما أصبحا بمفردهما، قال لها بهدوء:

ـ سيعجبك هذا الكوكتيل يا إيموجين. وهو مثلك...

قال هذا بصوت أجش دغدغ أعصابها.

ثم قال بنعومة: «ولكن لا! لن أخبرك الآن عن المزايا التي تشتركان فيها أنت وهذا الكوكتيل».

* * *

أول نوع من الطعام طلبته إيموجين هو المحار. وسال لعابها عندما وصل مطهواً بصلصة لويجي الخاصة. اعتادت في ريو دي جانيرو أن تأكل طعاماً بسيطاً رخيصاً. ولم تتنبه إلى الطريقة التي كان دراكو يحدّق بها إليها وهي تأكل طعامها باستمتاع صبياني تقريباً.

تساءل عما ستكون عليه ردة فعلها إذا عرفت ما الذي يفكر فيه، ويشعر به، ويريده! إن لدى إيموجين إغراء يعيد الشخص إليها مرغماً تقريباً.

ولوى شفتيه بمرارة. ربما من الأفضل ألا تعلم ما يدور في رأسه، أو داخل أعماقه، وإلا هربت ميلاً، أو ستة آلاف ميل عائدة إلى ريو دي جانيرو.

اكتأبت عيناه وهما تستقران على رأسها المنحني وهي تنظف آخر بقايا الصلصة بقطعة خبز. لو لم تعد بنفسها إلى الوطن لذهب

لإحضارها. والآن، بعد أن عادت، أصبح عليه أن يحرص على إبقائها هنا.

عندما رفعت إيموجين رأسها، وكأنما أحست بأنها مراقبة، خفض رأسه. وعندما رأت عينيه مسمرتين على صحنه، قطبت جبينها وهي تساءل عما جعلها تظن أنه كان ينظر إليها.

وعندما أزاح لويجي صحنها الفارغ، قال باسماً:

ـ هذا حسن. هل أعجبك الطعام؟.

فقالت تطمئنه: «إنه رائع».

لفظت هذه الكلمة التي اعتادتها في طفولتها وهي تبتسم له ثم سكتت، وتبددت الابتسامة وهي تنظر إلى دراكو بحذر. هل مسموح للمرأة المتزوجة أن تبتسم لرجل آخر؟ وما الذي يجعلها تهتم على كل حال برضا دراكو عن تصرفاتها؟ لم تشأ ذلك وليس هناك طريقة تجعلها تسمح له بأن يملي عليها ما يجب أن تفعل.

وسمعت صوتاً يقول: «دراكو وإيموجين، أليس كذلك؟ يا لها من مفاجأة!».

أفكارها الغاضبة المضطربة توقفت وهي تحدق في هذا الوجه المألوف لإحدى صديقات زوجة أبيها الحميمات.

كانت زوجة أبيها وميراندا ووكر رفيقتين في لعبة التنس، وهما عضوان في نادٍ خاص. وكان حبها لميراندا أقل من حبها لزوجة أبيها. وتذكرت أن زوج ميراندا أمضى مدة طويلة عاملاً خارج البلاد، ولكن يبدو أنه عاد الآن إلى الوطن.

صدمها أن ترى شخصاً يتصل بماضيها بهذا الشكل الحميم والكريه، حال عودتها.

كادت تشعر تقريباً بفيض من التخمينات تنبعث من ميراندا وهي تستمر في وقوفها إلى مائدتهما متجاهلة رغبة زوجها الواضحة في

www.hamasatrewaiya.com
Faten

الابتعاد.

ثم قالت ميراندا متظاهرة بالخجل بشكل أشعر إيموجين بالغثيان:

ـ هل نفهم من هذا أنكما عدتما إلى بعضكما البعض؟ لطالما أعتقدت أنه كان تهوراً منك أن تهربي منه بذلك الشكل يا عزيزتي.

وابتسمت لإيموجين ابتسامة زائفة، ثم قالت:

ـ انتظري حتى أرى ليزا، تصوري أنها لم تخبرني.

وعندما لم يعلّق دراكو ولا إيموجين، سألت ميراندا بحماسة:

ـ إنها لا تعلم، أليس كذلك؟.

ثم ساد صمت قصير قالت بعده:

ـ آه، لن تكون مسرورة جداً، فما زالت في جزر الكاريبي ولن تعود قبل أسبوع. أليس كذلك؟.

ووجهت سؤالها هذا إلى دراكو.

وقبل أن تسمع إيموجين جواب دراكو، وقفت واتجهت إلى استراحة السيدات وهي تقول:

ـ المعذرة.

كان غباء منها أن تشعر بالصدمة. أما بالنسبة إلى ذلك الألم المثبّط الذي كان يستنزفها، فليس هناك سبيل لأن ينكشف. فقد سبق أن علمت ما هو الهدف. عرفت كيف بإمكان دراكو أن يحصل بحزم ساخر على ما يريد.

عندما وصلت إلى غرفة الاستراحة، وأخذت تجري الماء البارد على معصميها، أخذت تحدث نفسها بأنها لم تعد تهتم بطبيعة علاقته بليزا. وعلى كل حال، هناك سبب واحد لوجودها هنا الليلة.

كان ذلك بسبب الأولاد.

وعليها أن تشعر بالأسف لأجل ليزا.

حتى الآن، وبالنسبة إلى إيموجين، كشفت لهجة حديث ميراندا

عن العلاقة بين دراكو وزوجة أبيها. أتراه أخبر ليزا بما كان يخطط له؟ وبسبب ما، اعتقدت إيموجين بأنه لم يفعل.

تنفست بعمق وهي تجفف يديها. لقد حان الوقت لتعود.

وعندما عادت إلى مائدتهما لم يكن هناك أثر لميراندا أو زوجها، فجلست دون أن تقول شيئاً. وتملكها صداع سيء للغاية. وشعرت كأنها ستقع صريعة انفلونزا سيئة، فقد شعرت بألم وتوتر في حلقها، وشيء من الغثيان، و...

وأطلقت شهقة صغيرة وهي ترى الغرفة تدور بها.

هتف بها: «إيموجين، هل أنت بخير؟».

وسرعان ما كان يقف بجانبها. فأجابت ورأسها يدور:

ـ لا. أشعر بغثيان فقط...

قطب جبينه وهو ينظر إلى وجهها الشاحب.

قال: «فلنذهب إلى الخارج. قد تشعرين بتحسن في الهواء النقي».

عندما شعرت إيموجين به يزداد اقتراباً منها، انكمشت غريزياً بعيداً عنه. حديث ميراندا أظهر لها أسوأ جوانب وضعها الذي لا تريد أن تفكر فيه. هاتان اليدان اللتان مدهما دراكو إليها كانتا تلمسان ليزا، صورتها، والصوت الذي يعبرّ لها عن اهتمام شارد، لا شك كان يهمس لزوجة أبيها كلمات رقيقة. عملية الإنجاب التي سيتشاركان فيها ستكون شيئاً آلياً بارداً خالياً من الحب، ومختلفاً جداً عن علاقته مع ليزا... وارتجفت إيموجين، غير قادرة على التحكم بتغيّر مشاعرها. ولا عجب أن شعرت بهذا الغثيان.

رأت في عيني دراكو ردة فعله لرفضها الغريزي له.

وأحنى رأسه وهو يتمتم غاضباً:

ـ المفروض أننا نمنح زواجنا فرصة ثانية. أتذكرين؟.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

استطاعت أن تهمس بسرعة: «أنت لا تريد أن تمنح زواجنا فرصة ثانية. أنت تريد فقط...».

وبشكل ما، قادها دراكو إلى الباب.

عندما خرجا، أخذت إيموجين تعب الهواء النقي بنهم بالغ وبدأ دوارها يتبدد، وغثيانها يتراجع.

سألها: «هل لك أن تخبريني لماذا كل هذا؟».

نظرت إليه بحذر: «شعرت بغثيان، وهذا كل شيء. من المؤكد أن هذا لا يدعو إلى الدهشة في مثل هذه الظروف. لم يتغير شيء، أليس كذلك يا دراكو؟».

قالت هذا تتحداه بمرارة.

فقال: «وهل كنت تتوقعين أن يتغيّر؟ ألا تظنين أن هذه سذاجة نوعاً ما؟».

التعبير الفظ الذي رأته في عينيه أجفلها. لم يكن يشعر بالخزي ولو قليلاً لما يفعل.

قالت بمرارة: «لم تخبرني أن ليزا ما زالت تسكن في هذه المدينة».

كان يهز كتفيه رافضاً كلامها وكأن لا علاقة لغضبها بالموضوع، فدفعها موقفه هذا إلى عمل عدائي عنيف:

ـ ليزا كانت زوجة أبي. إنها...

ـ أنا أعرف ما هي ليزا، يا إيموجين.

ـ أنت تعرف لكنك لا تهتم، أليس كذلك؟.

لم تستطع أن تمنع نفسها من النطق بهذه الكلمات، رغم أنها استطاعت رؤية الحقيقة في عينيه.

سمعت دراكو يتمتم بشيء بصوت منخفض قبل أن يقول عابساً:

ـ كنت حساسة دوماً بالنسبة لمصلحتك. وأيضاً بالغة...

مهما كان ما يريد أن يقوله فقد ضاع عندما انفتح باب المطعم وخرج منه زوجان آخران وقفا ليلقيا عليهما نظرة فضول مختصرة.

أمسك بذراع إيموجين، وقال لها بإيجاز:

ـ هذا ليس مكاناً مناسباً لحديث من هذا النوع.

ثم قادها إلى حيث أوقف سيارته. وعندما وصلا إليها، قالت له من خلال أسنانها المطبقتين:

ـ اترك ذراعي، لا أحتمل أن تلمسني، يا دراكو. لا الآن ولا بعد الآن...

وسكتت حين رأت العنف في عينيه المظلمتين وهو يفتح لها باب السيارة.

حدثها المنطق بأنه غير مسؤول عن ظهور ميراندا في المطعم لكنه مسؤول عن حقيقة أنه خان ثقة أبيها فيه وهو الآن يستغلها بقسوة. كم تكرهه وتشمئز منه وتحتقره.

أخذت نفساً عميقاً وهي تحاول أن تغلق ذهنها عن هذه الحقيقة غير المرغوب فيها.

كان إذلالاً لها أن تعلم أنه ما زال قادراً على التأثير فيها بهذا الشكل، حتى بعد أن أصبحت راشدة.

كانت غارقة في أفكارها، فلم تنتبه إلى وصولهما إلى البيت إلا عندما مال دراكو نحوها ومد يده ليفتح لها باب السيارة. باقترابه منها على هذا النحو تمكنت من رؤية عضلات ذراعيه القوية المشدودة، ومن تنشق رائحة الصابون المنعش الذي يستعمله، هذا إلى شيء آخر... شيء اقشعر له جلدها.

اتسعت عيناها وهي تقوم بحركة لا إرادية جعلت جسمها يحتك بذراعه وكأن... وبوجه ملتهب، رفضت إيموجين أن تعترف بما شعرت به وهي تبتعد عنه بسرعة.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

تجاهلته وهي تنزل من السيارة وتتجه إلى البيت.

وإذ سمعت خطوات دراكو خلفها، تملكتها هزة ذعر مفاجئة فأسرعت في خطواتها، لكنها أدركت أنه ليس بإمكانها دخول البيت لأنها لا تحمل المفتاح.

وقفت جانباً تنتظر منه أن يفتح الباب. ستكرهه دائماً لما يفعله بها، وقبضت يداها بجانبيها.

شعرت بيديه على كتفيها وهو يقول: «إيموجين».

فقالت ثائرة: «إياك أن تلمسني».

وعندما حاولت أن تبتعد عنه رفض أن يدعها تذهب، فاستندت إلى الباب.

عاد يقول: «إيموجين.. اصغي إلي».

فقالت: «لا».

وما إن رأت تلك النظرة الغاضبة في عينيه، حتى انحنى عليها وهو يقول بغضب:

ـ حسناً، إذا لم تشائي أن تصغي، فربما هذه هي الطريقة الوحيدة للاتصال بك.

شهقت تحتج ثائرة لجرأته على تجاهل ما تريد، ولكن ما حدث صدمها... إذ فجأة لم تعد قادرة على أن تشهق، ولا أن تفكر أو تعقل أو ترفض، لأن كل خلية في كيانها كانت مشغولة بمواجهة عناق دراكو الشبيه بقنبلة ذرية.

لم يشبه عناقه هذا أي شيء حلمت بتجربته، ولكنه في الوقت ذاته كان بالضبط... بالضبط كما كانت تحلم بأن يكون، ولكن أكثر... أكثر...

وبشكل ما، تحوّل العناق من الغضب البالغ إلى ملاطفة رقيقة اشتركت فيها كل جوارحهما...

وكانت تكتشف أحاسيسها عندما راح قلبها يذوب ويلتهب، شاعراً بفيض غريب من المشاعر.

قال: «عانقتني وكأنك بقيت نصف حياتك مشتاقة إليّ».

ثم جذبها إليه أكثر فأكثر...

ولكن عندما اخترق معنى كلماته مشاعرها التي كانت تدير رأسها، تركت فجأة ما تفعله. فدفعته عنها وهي تصرخ صرخة حادة، ثم قالت له بإنكار محموم:

ـ أنا لست مشتاقة لأي شيء... خصوصاً إليك. لكن أولاد شوارع مدينة ريو دي جانيرو يموتون جوعاً وهذا هو سبب وجودي هنا. لأجلهم... ولأجلهم فقط.

واجهته بكلامها هذا عبر المسافة الضيقة التي كانت تفصل بينهما، وقد شحب وجهها. وكان وجهه في الظل فلم تستطع أن ترى ما ارتسم على ملامحه، وإنما أحست فقط بجموده وعلمت أنه يراقبها، ما جعلها تشعر بالضعف. وانتظرت أن يجرحها بكلماته، ولكن، بدلاً من أن يثأر منها بأي طريقة، استدار ببساطة، ثم ذهب ليفتح الباب.

توقعت طوال فترة صعودهما السلم أن يقول شيئاً، أو يأمرها على الأقل بالوقوف. ولكن لم يكن هناك سوى الصمت. وهي لم تلتفت إليه لترى السبب، بل لم تجرؤ على ذلك.

* * *

www.hamsatrewaiya.com

٤ ـ أحلام من نار

كانت إيموجين مستغرقة في نوم عميق، وقد تاهت في أروع حلم رأته في حياتها.

كانت تتأوه وهي تدفن أصابعها في شعر دراكو الناعم الكث، ثم تجذب رأسه نحوها.

وكان هو يهمس لها محذراً:

ـ أنت تعلمين أن هذا خطر جداً.

ودغدغ صوته أحاسيسها. فأجابت تستفزه وهي تنظر إلى البحر الأخضر العميق في عينيه: «وأنا أحب الخطر. وأحبه أكثر إذا كنت أنت ذلك الخطر».

وضحكت بهدوء وهي ترى نظرة دراكو إليها. شعرت بالسعادة لأنها معه، ولأن عينيه تلتهبان كلما نظرتا إليها.

مدت يديها تجذبه إليها وتهمس:

ـ دراكو...

أرادت أن تحتضنه... أن تشعر به وهو يضمها.

وعندما استجاب دراكو للهفتها، تأوه ناطقاً باسمها، ففتحت عينيها. وكانت الشمس تتسرب إلى غرفتها من خلال النافذة، متألقة على خاتم عرسها الذهبي.

ولكن رغم السعادة التي يرفرف لها قلبها شعرت بخوف.. بخوف كبير. خوف جعلها تصرخ عالياً بصوت معذب وهي تتعلق بدراكو بذعر ولهفة، خائفة من أن تفقده بشكل ما... تفقد حبه.

ـ لا!.

صرخة الذعر الحادة التي أطلقتها أيقظتها على الفور من حلمها. ولثوان معدودة بقي الحلم يلفها، ولم تدرك أين هي إلا بعد أن أخذت عدة أنفاس عميقة. عند ذلك جلست في سريرها ومدت يدها إلى مصباح السرير الجانبي تضيئه فسبحت الغرفة في وهج مشمشي ناعم. ولكن لم يكن هناك ما يدفىء برودة الخوف التي غلّفت قلبها. كانت تحلم بدراكو... تحلم بأنه.. بأنها... بأنهما... وأغمضت عينيها. ولفت ذراعيها حولها بحركة غريزية تحمي بها نفسها.

وجاءها صوته: «إيموجين، ماذا حدث؟ سمعتك تصرخين».

فتحت عينيها على الفور وهي تسمع صوته وهو يفتح باب غرفتها، فقالت بسرعة:

ـ لا شيء... لم يحدث شيء.

لم يكن هناك سبيل لتخبره بهذا الحلم ولا لتشرح له سبب صرختها المعذبة تلك، لكنه ألحّ يسألها:

ـ بل سمعتك تصرخين.

راح يتقدم نحوها وهو لا يزال مرتدياً ملابسه رغم أن قميصه كان مفتوحاً من الأعلى.

لم تستطع أن تسلخ نظراتها عنه. كان في الحلم معها... وكانت تشعر بسعادة كبيرة.

ما الذي يحدث لها؟ لقد مرّت سنوات على الأحلام التي كان دراكو يقبع فيها.. ولكنها كانت مجرد فتاة صغيرة حينذاك، وكانت تنام في

www.hamsatrewaiya.com
Fatem

هذه الغرفة نفسها.

هل هذا هو سبب هذا الحلم؟ نومها في الغرفة التي كانت لها وهي فتاة، جعلها ترى في منامها دراكو الذي لم تعد تريده أبداً؟.

كانت قد بدأت تشعر بالراحة لعثورها على تفسير منطقي لما حدث، عندما تذكرت فجأة أنها رأت في الحلم الشمس تتألق على خاتم زواجها. وسرت في جسمها رجفة أخرى، أقوى من الأولى. وجعلت دراكو يسير نحو جانب السرير وينظر إليها مقطباً وهو يقول:

ـ ربما من الأفضل أن نستدعي الدكتور «أرمسترونغ» ليلقي عليك نظرة. شعرت بالغثيان قبل فترة، وها أنت الآن ترتجفين.

شعرت بسيطرتها على نفسها تضعف، فقالت:

ـ ليس بي شيء، وليس هناك إلا حقيقة واحدة وهي ابتزازي كي أنام مع رجل لا أريده لكي أنجب له ولداً يريده.

وأضافت بتهكم غاضب:

ـ لكنني واثقة من أنك لن تخبر الدكتور أرمسترونغ بهذا. أنت ماهر جداً في عدم إخبار الناس بالأشياء التي ينبغي أن يعرفوها. أليس كذلك؟

فسألها: «وماذا تعنين بهذا بحق الله؟».

قالت: «فسّرها لنفسك».

وعندما استمر ينظر إليها مقطباً، هبّت في وجهه تقول بمرارة:

ـ لا أتصور أنك أخبرت ليزا عن خطتك بالنسبة إليّ، وبالنسبة إلى الطفل الذي تريد مني أن أنجبه.

و... سحبت نفساً عميقاً، ناوية أن تذكره بأنه أيضاً أهمل أن يخبرها، حين عرض عليها الزواج، بأنه يحب زوجة أبيها. ولكن قبل أن تفعل، قاطعها قائلاً:

ـ لا. لم أفعل. ولماذا أفعل ذلك؟.

كيف يقف هنا ويقول هذا؟ وواجهته بعنف:

ـ لماذا؟.

هزت رأسها غير مصدقة. وغيّرت لهجتها قليلاً، غير قادرة على الثقة بنفسها في أن تقول ما تشعر به حقاً، وبدلاً من ذلك قالت بازدراء:

ـ ولكنها ستعلم حتماً، كما تعرف. ستخبرها ميراندا.

صُدمت وهي تكتشف أنها كانت تحبس أنفاسها تنتظر، وكأنها ترجو أن يخبرها بأن لا علاقة له بها الآن، وأن كل شيء بينهما قد انتهى. أتراها حقاً بمثل هذا الغباء المخيف، والضعف الأحمق؟.

قال: «زواجنا، علاقتنا، الخطط التي نضعها لا علاقة لها أبداً بليزا».

سألته متحدية: «وأنت لا يهمك ما تظنه هي أو تشعر به بالنسبة لهذا الوضع؟».

فأجاب: «رغبتي في إنجاب ولد من سلالة أبيك، لا يؤثر بأي شكل في حياة ليزا».

لم تستطع أن تمنع نفسها من الإلحاح: «ولا على علاقتك بها؟».

فأجاب بعد فترة صمت قصيرة:

ـ أنا أعرف شعورك نحو ليزا، يا إيموجين. لكنك راشدة الآن، علاقتي بها، كما تسمينها، لا تزال هي نفسها ولا يمكن أن تتغير. كما أن شعوري نحوها لم يتغير أيضاً، كما تعلمين.

قال لها ذلك بكل ما أمكنه من لطف، ثم قطب جبينه وهو يرى نظرة العذاب وعدم التصديق التي بدت في عيني إيموجين. كان يعلم أن معاملة زوجة أبيها لها جعلتها تعسة مليئة بالمرارة. وكما أخبرها لتوّه، ما يكنّه لليزا الآن من المودة، قليل كما كان حين تزوجها جون، والد إيموجين. فقد كانت ليزا في نظره سطحية أنانية نهمة. لكن ذلك لا يغيّر حقيقة أنه يتحمّل مسؤولية ليزا أيضاً.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

وبصفته أحد الأوصياء في وصية والد إيموجين الراحل، كان عليه أن يدفع لليزا مرتين في السنة مبلغاً يعينها على العيش. ولكن بدا واضحاً أنه لم يكن لدى إيموجين مزاج للإصغاء إلى مثل هذا المنطق.

شعرت إيموجين وكأن شخصاً يعتصر رئتيها بقبضة مؤلمة مخيفة، فيجعل تنفسها مستحيلاً. ولكن ليس شعورها. آه، لا. ما زال بإمكانها أن تشعر. ولكن لماذا تشعر بذلك بينما طوال السنوات الأربع الماضية اعتقدت أنها لم تعد تهتم، وأنه لم يعد لدراكو هذا التأثير عليها.

وهمست تقول بعنف:

ـ أظنني أكرهك، يا دراكو. لا، بل أكرهك.

كان قد سار ليقف عند النافذة ينظر إلى الظلام. فقال ببرودة:

ـ هذا حسن. يمكنك أن تكرهيني كما تشائين. ولكنك رغم ذلك ستمنحينني الطفل يا إيموجين.

وقبل أن يسمع جوابها، خرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه.

* * *

كان من المستحيل طبعاً أن تعود إلى النوم. ونظرت إلى الساعة فأنبأتها بأن الوقت تجاوز منتصف الليل وعندئذٍ أدركت أن دراكو سمع صرختها وهو متوجّه إلى غرفته للنوم.

كيف سمحت لنفسها بأن تحلم به؟ أي جزء من عقلها الباطن حرّك ذاك الحب من تحت الرماد؟ ولماذا اكتشافها بأن دراكو ما زال يحب ليزا جعلها تمتلىء بالألم واليأس؟ من يراها على هذه الحال سيخطىء ويظن أنها ما زالت تحبه، بينما هي في الواقع لا تشعر بهذا أبداً.

ليتها ما زالت في ريو دي جانيرو! فقد كانت آمنة هناك، ومشغولة جداً عن التفكير في دراكو. وتململت في سريرها عندما وخزها ضميرها لأنها تكذب على نفسها. فتمتمت بصوت خافت: لا بأس. بل كنت أفكر فيه أحياناً.

لكن الصوت نفسه أخذ يذكرها بقسوة:

ـ بل فكرت فيه وحلمت به.

فقالت مقرة: نعم، نعم. لا بأس. لكن تلك لم تكن أحلاماً، بل كوابيس. ومن المؤكد أنني لم أعد أحبه. أنا متأكدة من ذلك.

* * *

قال دراكو: «أمامك نصف ساعة تتناولين فيها فطورك ثم نذهب بالسيارة إلى لندن».

ما إن سمعت منه هذا حتى انتعشت أملاً. أتراه غيّر رأيه بعد ما قالته له الليلة الماضية؟ هل سيأخذها إلى لندن ليضعها على الطائرة المسافرة إلى ريو دي جانيرو؟.

آه، أرجوك يا الله... أرجوك... أخذت تدعو الله بحرارة وهي تقول لدراكو بلهجة آلية:

ـ أنا لا أتناول فطوراً. سأصعد لأحزم أمتعتي.

رفع حاجبيه: «تحزمين أمتعتك؟ نحن ذاهبان لرؤية المحامي يا إيموجين، ولن ننام هناك، رغم أنني أجرؤ على القول إنك قد تحتاجين إلى ارتداء ملابس رسمية أكثر من هذه».

ونظر باستخفاف إلى ملابسها البالية تقريباً.

وعلى الفور، قالت مدافعة:

ـ إذا كانت ملابسي لا تعجبك، يا دراكو...

بدأت تقول ذلك ثم سكتت حين قاطعها بنعومة:

ـ هل يمكنني أن أشتري لك بعض الملابس الجديدة؟ هذا ما أنويه يا إيموجين، حالما ينتهي عملنا مع المحامي.

أنا لا أشك في أنك تثقين بي كما أثق بك تماماً. لكنني فكرت في أنه سيمنحك مزيداً من الاطمئنان، إذا أنا تعهدت قانونياً بـ... باتفاقيتنا، واضعاً ما تعهدت به لك، وديعة في البنك.

www.hamsatrewaiya.com

ثم أضاف:

ـ ماذا تعنين بقولك إنك لا تتناولين فطوراً؟.

تغييره الموضوع بسرعة البرق، شوّش ذهنها وصرفه عن العرض الذي قدمه لها قانونياً.

العرض الذي قدّمه لها؟ بل الابتزاز الذي كان يفرضه عليها. صحت هذا الكلام بعنف عندما سمعته يقول:

ـ لا عجب أنك هزيلة بهذا الشكل.. تناولي شيئاً من هذا.

واتسعت عيناها وهو يأخذ علبة تحتوي حبوباً عن المائدة ويفرغ بعضها في صحفة أمامها، وهو يقول هازلاً:

ـ إنها شرحات فاكهة مع مسحوق الشوكولا... كنت تحبين هذا.

ـ كان هذا عندما كنت في الثالثة عشرة.

لكنه لم ينتبه إليها، بل سكب الحليب فوقه، قبل أن يحذرها بقوله:

ـ لن نترك هذا البيت قبل أن تأكلي، يا إيموجين.

فقالت بفظاظة: «لماذا؟ هل أنت خائف من أن يظن الناس أنك تتركني أجوع كما تبتزني؟».

فنظر إليها بحدة: «أبتزك؟».

ولكن قبل أن يتابع كلامه رن جرس الهاتف، فقال:

ـ المعذرة! ربما هذه مكالمة من العمل. سأرد من المكتب. لن أتأخر.

بعد خروجه أخذت تحدق في الصحفة التي أمامها. لن تأكل الحبوب، طبعاً لن تأكل. ولكنها، لسبب ما، أخذت تغرز ملعقتها فيه. في ريو دي جانيرو كانت تقتصد في تناول الطعام لأنها كانت تفكر في الطعام القليل الذي يتناوله أطفال الملجأ.

كانت في منتصف الطعام عندما عاد دراكو. ورغم أنها دفعت

الطبق من أمامها دون أن تنهي محتوياته، كان عليها أن تعترف بأنها استمتعت بهذه الحبوب.

* * *

كان محامي دراكو يحتل مكتباً في المبنى نفسه الذي يضم المكاتب التي كانت أصلاً لأبيها فأصبحت الآن لدراكو بالتأكيد.

انقبض قلب إيموجين وهي تتذكر كم من المرات زارت المكتب مع أبيها.

فما زالت تفتقده! وما زال قلبها يتألم على موته....

عندما قادها نحو المصعد، قال لها بهدوء:

ـ لقد نسيت عدد المرات التي فكرت فيها في الانتقال من هنا. ما زلت أتوقع أن أرى أباك هنا خارجاً من المصعد، فاتحاً باب المكتب. ما زلت أفتقده وأجرؤ على القول بأنني سأفعل ذلك دوماً.

كانت كلماته منسجمة مع أفكارها ما جعل إيموجين غير قادرة على الكلام من دون أن تفضح مشاعرها. وهكذا أشاحت بوجهها عنه لئلا يرى مشاعرها تلك. كيف يمكنه أن يقول هذا عن أبيها وهو في الوقت نفسه يخونه مع زوجته؟.

تابعت تجاهلها له والمصعد يصعد بهما. وعندما وقف وانفتح الباب، وضع يده على ذراعها فأجفلت على الفور.

تساءلت بقنوط كيف ستتمكن من أن تنفّذ قسمها من الاتفاقية وتنجب له ولداً بينما لا تستطيع أن تحتمل لمسة منه؟.

فحدثها هاتف في داخلها: «لقد احتملته جيداً جداً عندما عانقك الليلة الماضية. ثم ماذا عن ذلك الحلم؟ لم تكوني، حينذاك، تحتملينه فقط».

فهتفت باحتجاج وهي تقفل أذنيها بيديها: «لا».

www.hamsatrewaiya.com
Futen

فسألها دراكو بحدة: «ما بك؟ هل تشعرين بالمرض مرة أخرى؟ أظنك بحاجة حقاً إلى أن يراك الطبيب. ربما التقطت عدوى في الطائرة».

فقالت بصوت مختنق وهي ترى باب المكتب أمامها:

ـ أنا بخير.

ما زال أمامها وقت تغيّر فيه رأيها وتعود إلى ريو دي جانيرو. كل ما يستلزمه الأمر هو جملة واحدة. ولكن حتى وهي متلهفة إلى أن تخبر دراكو بأنها غيرت رأيها، لم تسمح لها كرامتها بأن تفعل هذا... فتح دراكو الباب وأشار إليها بالدخول أمامه، وحيتهما موظفة استقبال باسمة. كان واضحاً أنها تعرف دراكو جيداً.

بدت عليها الرهبة منه وقالت له وهي تنظر في ساعتها:

ـ لن يتأخر دايڤيد طويلاً. فقد استُدعي إلى اجتماع مع عميل. لم يشأ الذهاب في الحقيقة، إذ كان يعلم أنك قادم. لكنها حالة مستعجلة.

بدت تقريباً وكأنها تعتذر. كانت في مثل سنها، سمراء ذات عينين عسليتين، والواضح جداً أنها حامل.

حوّلت إيموجين عينيها عن جسد المرأة وهي ترتجف. وكانت المرأة تقول شيئاً لدراكو، ثم سكتت عندما انفتح الباب الآخر وخرج منه شاب عريض الكتفين، ذو وجه بادي الصراحة والصدق. فقالت بارتياح واضح:

ـ آه، ها أنت ذا يا عزيزي. كنت أشرح لتوّي لدراكو أنك اضطررت للخروج.

وعندما تقدمت تحييه بقبلة، لاحظت إيموجين خاتم الزواج في إصبعها فأدركت أنهما زوج وزوجة حتى قبل أن يقدمهما دراكو إليها بصفتهما دايڤيد وشارلوت برايانت.

وابتسم دايڤيد وهو يصافح إيموجين:

ـ السيدة بارينغتن؟ سمعت عنك كثيراً جداً. كان خالي هنري من المعجبين جداً بك، وطبعاً كان هو ووالدك صديقين حميمين. وقد اعتاد غالباً أن يتحدث مع أمي عنك. فقد كانت أمي أخته، أنا أعرف كم كان سيسر لو علم أنك ودراكو قد... قد قررتما... قد تصالحتما.

وسكت وقد احمر وجهه وبدا عليه عدم الارتياح، أما هي فشقّ عليها أن ترى دراكو واثقاً من قبولها إلى حد جعله يخبر دايڤيد مسبقاً بأنهما تصالحا.

عليها ألا تسمح لنفسها بأن تنسى أن دراكو هو أستاذ في المناورات. نبهت نفسها إلى ذلك وهي تشكر شارلوت برايانت على فنجان القهوة الذي أحضرته لها لتوها.

قالت شارلوت تؤكد قول زوجها:

ـ نعم، كانت والدة دايڤيد دوماً تتحدث عن أخيها. أعرف أنها شاكرة لك بنوع خاص، يا دراكو، لكل ما عملته عندما أصابته النوبة القلبية، وذلك بذهابك معه إلى المستشفى وبقائك معه.

سمعت دراكو يقول باختصار، وكأنه لا يريد الحديث في هذا الموضوع:

ـ هذا أقل الواجب.

ارتجفت إيموجين. لو لم تحصل نوبة هنري القلبية، هل كان سيلحق بها ويمنعها من الرحيل؟.

كانت تعتقد بأنه تركها ترحل لأن ذلك أراحه ولم يكن يهمه. إنما يبدو الآن أنها كانت مخطئة. أتراها كانت مخطئة أيضاً بالنسبة إلى أمور أخرى؟ يبدو أن دايڤيد وشارلوت معجبان جداً بدراكو، لكنهما، على كل حال، لا يعرفانه كما تعرفه هي.

***

www.hamsatrewaya.com
Eaten

قال: «والآن ماذا؟ هل نحتفل؟ نحن غير بعيدين عن أحد فنادق المدينة، وما دام الآن وقت الغداء...».

نظرت إليه إيموجين غير مصدقة وهما يخرجان من مبنى المكاتب إلى أشعة الشمس، ثم قالت بعنف:

- ربما تشعر بأن لديك ما تحتفل به، أما أنا فلا أشعر بذلك أبداً.

فقال بابتسامة مخادعة وهو يمسك بذراعها ليدنيها منه:

- لا؟ لقد وقّعت لتوّي على سند بمبلغ يفوق المليون جنيه لجمعيتك الخيرية. وأظن هذا سبباً كافياً للاحتفال.

حاولت على الفور أن تسحب ذراعها من يده مبتعدة عنه، لكن دراكو رفض أن يفلتها. وقالت له:

- ربما هذا صحيح في ظروف مختلفة. ولكن بما أنني سلمتك جسدي بالمقابل...

رأت فمه يتوتر ورأت أيضاً نظرة التحذير في عينيه:

- كنت تحبين أباك، أليس كذلك يا إيموجين؟.

أجابت فوراً: «أنت تعرف أنني كنت أحبه».

- ماذا تظنين سيكون شعوره لفكرة أنه سيصبح جداً، ويعلم أن جيناته وجينات أمك الوراثية وجيناتك أنت أيضاً ستنتقل إلى ذرية جديدة؟.

مرت لحظة منعها الارتجاف من أن تجيب، لكنها عندما تحدثت ارتجف صوتها لعنف مشاعرها:

- كيف تجرؤ على أن تفعل بي هذا، يا دراكو؟ كيف تجرؤ على أن تستغل أبي لابتزازي؟.

فقال: «أنت لا تنفكين تقذفي هذا الاتهام في وجهي. حذار من أن أعيد قذف ذلك عليك».

ردّت متحدية بتهوّر:

- وماذا ستفعل؟.

ولكن بدلاً من أن يجيب، قال بهدوء:

- ما دمت لا تريدين غدائي، فلنذهب إذن إلى متجر «نايتسبرج» لتشتري لك بعض الثياب...

بدأت تقول: «لا أريد أيّ ثياب...».

لكنه لم يكن يصغي إليها لأن انتباهه كان مركزاً على سيارة الأجرة التي أشار إليها. كان لا يزال ممسكاً بذراع إيموجين، وأصابعه ملتفة حولها بحزم. وعندما احتكت بها مجموعة من المارة ازدادت اقتراباً منه بشكل آلي.

احتك قماش سترته البارد بذراعها العارية، وعندما رفعت بصرها رأت ظل لحيته الخفيف على فكه. وأقرّت، برجفة داخلية خفيفة، أن رجولة قوية خطرة تحيط به كهالة غير مرئية. غير مرئية ولكنها ليست غير محسوسة. شعرت بها الآن وهو يدفعها إلى السيارة... شعرت بها فخافت منها... ومن نفسها.

وعندما تحركت بهما سيارة الأجرة قال يحذرها:

- وتذكري أننا، منذ هذه الليلة، سنتشارك، أنا وأنت، الغرفة نفسها، والسرير نفسه.

أخذت تنظر من نافذة سيارة الأجرة من دون أن تجيب، وهي تدعو الله أن تحمل بسرعة.

لا بل على الفور. من أول مرة، وبهذا ستشاركه فراشه مرة واحدة. هل سينتظر دراكو ليرى إن..؟ أم إنه..؟.

وهرب ذهنها من الجواب الذي كان يتخبط فيه، من المؤكد أنها لا تخاف من العلاقة الزوجية بالذات. فهي لا تعيش، على كل حال، في العصر الفيكتوري المتزمت، حيث لم تكن العروس العذراء تعرف ما ينتظرها. في ريو دي جانيرو تبيع البنات الصغيرات القاصرات

www.hamsatrewaiya.com
Faten

أنفسهن في الشوارع مقابل أن يأكلن. لو أن انجاب طفل لدراكو ينقذ واحدة فقط من أولئك البنات...

ابن دراكو؟ وابنها.. ولم تستطع أن تمنع نفسها من الالتفات إليه. كان ينظر من نافذة سيارة الأجرة، محولاً وجهه عنها، وتنحنحت لكي تتكلم لكنها لم تجد فرصة لذلك، فقد وقفت السيارة أمام المتجر.

قالت إيموجين تحتج بعجز وهي ترى مجموعة الملابس التي أحضرتها لها البائعة:

ـ لا... هذا يكفي، وأكثر.

وقفت هي ودراكو والبائعة، وبائعة أخرى مساعدة، في جناح التسوّق الأنيق الخاص في المتجر.

شعرت بالدوار مبدئياً لرؤية كل هذه الملابس التي تسيل اللعاب، ثم أخذت تشعر بغثيان خفيف ذكرّها بما كانت تشعر به أحياناً أثناء مراهقتها.

ورغم جمال هذه الملابس، شعرت بوخز في ضميرها سبب لها عدم الإرتياح. كم من البطون الصغيرة يملؤها ثمن هذه الملابس الغالية؟.

والتفكير في البطون، سواء كانت صغيرة أم لا، أثار اعتباراً آخر...

نظرت بلهفة إلى بنطلون جينز مصمم على الطراز الحديث كان كما قالت البائعة مصمماً خصيصاً ليظهر جمال جسم الأنثى. التصق بجسمها بشكل جعلها تكره الخروج من غرفة القياس إلا بعد إلحاح البائعة. وعندما خرجت، شعرت بخجل بالغ وهي تقف أمام دراكو وهي ترتديه، مفكرة في ما قد يظنه... هذا البنطلون مثير للغاية. قالت وهي تهز رأسها: «إنه لا يلائم شخصيتي».

ولكن يبدو أن لدراكو رأياً آخر، فسألها:

ـ لماذا لا؟ إنه يعجبني.

عند ذلك تذكرت بغيظ نظرة الاستخفاف تلك التي ألقاها على ملابسها.

كانت ملابس ليزا دوماً من أحدث طراز وأكثره إثارة. ولا شك أن دراكو عندما نظر إليها، راح يقارنها بحبيبته.

أتراه يظن أنها ستصبح مرغوبة أكثر لديه إذا ألبسها ثياباً مثيرة؟

لم تنس إيموجين قط التعليقات الهازئة التي ألقتها ليزا في وجهها صبيحة يوم زفافها، ومنذ ذلك الحين، وهي ترتدي الملابس الفضفاضة التي تغطي جسدها أكثر مما تبرز تقاطيعه.

وكانت البائعة تبتسم لها مشجعة:

ـ إنه جميل ورائع.

إلى أن قرر دراكو أنه يريد طفلاً منها، لم يظهر نحوها أي اهتمام من أي نوع كان. وقبل زواجهما لم يعانقها قط عناقاً حقيقياً. وها هوذا الآن، كما يبدو، يريد أن يشتري لها ملابس تبرز مواطن الإثارة في المرأة.

لماذا؟ هل لأنها تجعلها أكثر شبهاً بليزا؟.

وهكذا أصرت على رفض البنطلون الذي كانت تحمله البائعة:

ـ لا! إنه غالي الثمن، وأنا لن ألبسه كثيراً.

فقال دراكو للبائعة باسماً:

ـ سنشتريه. إذا كان ضميرك الإنساني يزعجك...

والتفت إليها مضيفاً: «دعيني أذكرك بأنني أنا الذي سأدفع ثمنه من مالي...».

تحوّل خجلها السابق إلى غضب وقطبت جبينها قائلة:

ـ مالك؟ لدي المال الكافي لشراء ملابسي، يا دراكو. ما زال لدي أجري من العمل في تلك الجمعية الخيرية رغم ضآلته!.

www.hamsatrewarya.com Faten

وبأدب، ابتعدت البائعة عنهما.

أجاب دراكو: «أعرف أن بإمكانك ذلك. ولكن من ميزات الزوج أن يدلل زوجته؟».

حملقت فيه وقد ازداد غضبها:

- إذا كنت تريد حقاً أن (تدللني) فهناك طرق أخرى!.

ولم تصدق وهي تراه يبتسم:

- أنت لم تتغيري أبداً، أليس كذلك يا إيموجين؟ ما زلت أتذكر كم كان ذلك يسلّي أباك، ويغيظ ليزا، عندما كنت تصرين على أن يشتري للخيول العلف الشتوي على أن يشتري لك ثوب العيد.

وشعرت إيموجين بالخزي عندما اغرورقت عيناها بالدموع. نعم. إنها تتذكر تلك الحادثة هي أيضاً. لقد ضحك أبوها وفي النهاية، لم تظفر فقط بموافقته على أن يوفر العلف الشتوي للخيول، بل حصلت بسبب إلحاح ليزا الغاضبة، على ثوب العيد أيضاً. لقد كرهت ذلك الثوب، لأن طرازه كان طفولياً، وردي اللون، ذا «كشاكش» وتنورة واسعة، لا تلائم فتاة مراهقة أبداً.

ليزا... أترى دراكو يفكر فيها الآن؟ أتراه يتمنى لو أن ليزا معه هنا، يشتري لها الثياب... وأرغمت إيموجين نفسها على أخذ نفس عميق مهدىء.

وقالت لدراكو: «على كل حال، لا فائدة من أن تشتري لي هذه الأنواع من الملابس».

وعندما رفع حاجبيه مستفهماً، احمر وجهها قليلاً، وهي تفسّر له قولها مرغمة:

- هذه الملابس محكمة على الجسم جداً، لكنني... قد أكون بحاجة إلى ملابس... أكثر اتساعاً.

قالت هذا وهي ترميه بنظرة ساخطة عندما بدا الفهم أخيراً في

عينيه.

فقال: «إذا كنت تريدين أن تقولي إنك سرعان ما ستصبحين بحاجة إلى ملابس حمل، فأنا موافق».

وتابع هازلاً: «لكنني أظن أن صلحنا وحده سيثير بين الناس من التخمينات ما يكفي من دون أن تضيفي إليه ظهورك في المجتمع بملابس الحمل».

وألقى عليها نظرة جانبية، وأضاف بنعومة:

- لا بد لي من القول إنك أدهشتني. لم أكن أدرك أنك متشوّقة إلى هذا الحد لإتمام اتفاقيتنا!.

فأنكرت على الفور بصوت كالفحيح:

- ليس هذا ما كنت أعنيه، كل ما في الأمر أنني لا أحب إضاعة المال على شراء ملابس....

لم تستطع أن تصدق مرحه المفاجىء وخلوّ باله هذا.

سألها: «هل تطمئنين بالاً إذا أنا وافقت على أن أدفع مقابل كل جنيه أنفقه عليك، جنيهاً آخر للملجأ، عدا المبلغ الذي خصصته».

لم تشأ أن تراه هكذا، أن تتذكر كم كانت ذات يوم، تؤمن بأنه رائع غير عادي. ولكيّ تعوّض عن ضعفها الأحمق، رمقته بنظرة عدائية قبل أن تقول بجمود:

- هذه رشوة.

أجاب: «القرار يعود لك الآن. تذكري فقط أنه كلما قلّ ما أنفقه عليك، قلّ ما أدفعه للملجأ».

كانت البائعة قادمة نحوهما بحزم، وقد قررت، كما يبدو، أنهما أمضيا ما يكفي من الوقت لكي ينهيا خلافهما. وتساءلت إيموجين، بيأس، عما إذا كان هناك طريقة لا يستعملها دراكو لكي يحصل على ما يريد!.

www.hamasatrewaiya.com
Faten

عندما غادرت أخيراً جناح البيع، ساورها شعور خفيف بالذنب بسبب هذا القدر من الملابس الذي يفوق كثيراً ما صممت على شرائه. . .

لكن هناك مبلغ لا يستهان به سيذهب هبة للملجأ.

قال دراكو وهما يغادران المتجر بنصف دزينة من الأكياس الواسعة:

- أفهم من هذا أنك، في هذه المناسبة، لا تريدين أن تحتفلي بالنهاية الناجحة لمجهودنا هذا في «سودا فونتين».

لسبب ما، إشارته إلى المكان المفضل لديها حين كانت تلميذة، ملأتها بفيض من المشاعر بحيث وقفت جامدة في الشارع، جاعلة ابتسامة دراكو تستحيل إلى تقطيب وهو ينظر إليها.

شعرت وكأنها تريد أن تهرب وتختبىء.

ذلك أنها، لجزء من الثانية، وجدت نفسها تتمنى لو تتغير الأمور بينها وبين دراكو فيحاولان بإخلاص أن يبدآ من جديد مع بعضهما البعض على أساس الحب. . .

ما هذا الذي يحدث لها؟ هل مجرد ذكر «سودا فونتين» كافٍ لكي يمحو الخيانات التي تقف بينهما؟ من المؤكد أنها ليست إلى هذا الحد من الحماقة والضعف.

رفعت رأسها متحدية بكبرياء، وقد استطاعت أن تبتسم بشجاعة وهي تقول له ببرودة:

- لا أظن أن اطلاق العنان لشهيتي نحو الأطعمة الغنية بالوحدات الحرارية، وهذه الملابس التي اشتريناها، يتلاءمان مع بعضهما البعض.

فقال وهو ما زال مقطباً جبينه:

- يناسبك أن تزيدي وزنك بعض الشيء.

طبعاً سيفكر بهذا الشكل! لأن جسد ليزا أكثر إثارة للحواس من

جسدها هي. وقالت:

- إذا حصل لك ما تريد، فأظن أنه سرعان ما سيزداد وزني.

ثم عضت شفتها والتهب وجهها خجلاً.

مضت لحظة لم يقل فيها شيئاً، وأخذ ينظر إليها متأملاً حتى أن بعض المارة من النساء وقفن ينظرن إليه باهتمام.

ثم بدأ يقول: «إذا كان هذا يعني دعوة منك. . .».

أسكتته إيموجين على الفور وهي تهز رأسها بقوة منكرة مثل هذه النية، قائلة بغضب بالغ:

- اليوم الذي سأدعوك فيه إلى معاشرتي، هو. . .

فقال برقة: «حذار يا إيموجين. سبق أن حذرتك من أن تتحديني».

* * *

www.hamasatrewaiya.com
Faten

٥ ـ أبعد من الحلم

أغمضت إيموجين عينيها بشدة بشكل طفولي تقريباً، رغم أنها كانت مستيقظة منذ أكثر من عشر دقائق لأنها تعلم مسبقاً ما الذي ستراه في اللحظة التي ستفتحهما فيها.

خارج نافذة غرفة النوم، كانت تسمع تغريد الشحرور. وفي محاولة لتجاهل ذلك الاحساس باليأس الذي يتملكها، فتحت عينيها وأخذت تحدق إلى الوسادة الأخرى التي يفترض أن تحمل دمغة رأس دراكو الأسود الشعر، ولم يظهر على الوسادة أثر لوجوده.

مضت خمسة أيام الآن منذ عادا من لندن. أسبوع تقريباً، ولم يحدث شيء. ودراكو لم... وهما لم...

لا بأس، لقد غاب في العمل ثلاثاً من هذه الليالي. لكنها انتقلت إلى غرفته في الليلة التي عادا فيها من رحلة التسوّق مليئة بالقلق والانزعاج. لم يقترب دراكو قط من الغرفة، أو منها، مفضلاً أن ينام على الأريكة في مكتبه، والظاهر أنه كان يحاول انجاز عمل غاية في الأهمية يحتم عليه إرسال وتلقي مكالمات من القارات الأخرى.

وكان قد قال لها دون اهتمام في اليوم التالي حين رأته أخيراً: «لم يكن ثمة فائدة من الصعود إلى الغرفة وإزعاجك. أرجو ألا يكون أملك قد خاب».

لم تعرف إيموجين بما تجيب. وحدثت نفسها بأن ما يسرها جداً هو أن تسمع أنه سيغيب أيام عدة.

لكنها في غيابه وجدت فسحة من الوقت لتفكر، وجدت نفسها تتساءل عما منعه من أن يتأكد من أنها ستعطيه الولد الذي يريده، الولد الذي كان السبب في وجودهما هنا معاً.

أمس، عندما عاد عند العصر من دون سابق إنذار، كانت مقتنعة بأن الحدث الذي تخافه، قريب الوقوع. ولكن، مرة أخرى، تركها دراكو لينام وحده.

هل السبب هو أنه لا يريدها؟ وأنه يريد فقط الطفل الذي ستعطيه إياه؟ لأن، في الواقع، المرأة التي يريدها هي ليزا فقط؟.

أخذت الوسادة المجاورة لوسادتها تغيم. وحدثت إيموجين نفسها بأنها غير مهتمة، وأخذت تغالب دموعها. لن تبكي!.

لا. بدلاً من الرغبة في البكاء، عليها أن تسأل نفسها لماذا هي غير منطقية بهذا الشكل. عليها بالأحرى أن تكون مسرورة إذا كانت منصفة.

* * *

بعد أن اغتسلت إيموجين وارتدت ملابسها، نزلت إلى الطابق السفلي. لقد نشأت في هذا المنزل. وأخذت بذهن شارد، تمر بأناملها على حاجز السلم الخشبي المصقول الذي حفرت عليه صور حيوانات بالغة الصغر.

عندما كانت أمها حية، كان هذا المنزل بيتاً حقيقياً. ذلك النوع من البيوت الذي تريد أن تمنحه لابنها. لكن موت أمها وزواج أبيها مرة أخرى غيّر ذلك وحوّله إلى مكان تريد الهرب منه.

والشخص الذي كانت تهرب إليه من هذا البيت كان غالباً دراكو. أين هو؟ كان باب المكتب مغلقاً. ترددت إيموجين أمام البيت، ثم

www.hamasatrewaiya.com
Faten

تنفست بعمق، وأمسكت بالمقبض وأدارته.

في الداخل كان جهاز الكمبيوتر يئن بنعومة، وشاشته تضيء العتمة الخفيفة. قطبت جبينها واستيقظ فيها حس ربة المنزل، فتقدمت إلى النافذة لتزيح الستارة وتسمح لأشعة الشمس بالدخول. لكنها توقفت فجأة وهي ترى دراكو نائماً متكوراً على نفسه، بشكل غير مريح، على الأريكة الضيقة.

كان يرتدي الملابس التي وصل بها عصر أمس. بذلة خفيفة، وقد ألقى السترة على الكرسي، فك بعض أزرار القميص.

انكمشت عاجزة شاعرة وكأن سكيناً طعنت أحشائها. تقدمت نحوه بشكل لا إرادي، ثم وقفت. في حرارة الغرفة، كان صدره يعلو ويهبط مع أنفاسه، ورغم أن عضلاته مسترخية، فقد لاحظت في اشتدادها ما جذب نظراتها. ذات مرة، عندما كانت فتاة مراهقة، كانت تتشوق إلى لمس دراكو.

في ريو دي جانيرو، كلما وقعت في شرك التفكير في دراكو، أو تذكرت شعورها نحوه، كانت تحدّث نفسها عابسة بأن ذلك من تأثير هرمونات المراهقة ولا أثر لها من الحقيقة. وقد طمأنت نفسها أيضاً بأنها ستنظر بازدراء إلى مشاعر تلك الفتاة الصغيرة وأنها ستكون آمنة من مثل هذه المشاعر الحمقاء لأنها باتت راشدة.

وكانت مخطئة، كما أدركت الآن ورأسها يدور. فتأثير منظر دراكو عليها هو...

ـ إيموجين؟.

قفزت إيموجين كالملسوعة عندما نطق دراكو فجأة باسمها. منذ متى وهو مستيقظ ينظر إليها وهي تنظر إليه؟ وأخذت تتراجع نحو الباب والشعور بالذنب يبعث الحرارة في جسمها.

وأخذت تقول: «لم أكن... لم أكن أعرف أنك هنا».

قال بعفوية وهو يجلس ويثني عضلاته بشيء من العبوس:

ـ كان عليّ إنجاز بعض الأعمال. وأتذكر أنني كنت متعباً.

فقالت: «نومك على الأريكة غير مريح».

لم تكن تعرف ما تقوله... كل ما كانت تفكر فيه هو موجة المشاعر غير المرغوب فيها التي اكتسحتها عندما راحت تنظر إليه.

فقال: «همممم... يمكن للأمر أن يكون أسوأ».

لسبب ما، جعلت الطريقة التي كان ينظر بها إليها وجهها يزداد حرارة. ما معنى هذا بالضبط؟ هل معناه أن النوم على الأريكة هو أفضل من النوم معها؟ إنه هو الذي أصرّ على عدم فسخ الزواج! واستدارت ومدت يدها إلى مقبض الباب.

كانت تفتح الباب حين قال فجأة من خلفها:

ـ إذا شئت يمكننا الخروج معاً فيما بعد. نخرج بالسيارة إلى شاطىء البحر.

ولكن قبل أن يسمع جوابها خرجت مغلقة الباب خلفها، ثم هرعت إلى المطبخ.

***

صباح موحش تبعته أمسية أمضتها في نزع الأعشاب الطفيلية من بين الورود، ولكن ذلك لم يفلح في تحسين مزاجها... راحت تفكر بهذا وهي تمتص إبهامها الذي وخزته شوكة، بينما كانت تسرع صاعدة السلم إلى الطابق الأعلى.

ـ إيموجين؟.

جمدت مكانها حين برز دراكو فجأة وقد لفّ جسمه بمنشفة:

ـ رأيتك من نافذة غرفة النوم وأنت تدخلين البيت قادمة من الحديقة، ففكرت في...

قاطعته: «... أن عليك أن تنبهني إلى أنك تتسكع في الأنحاء

www.hamasatrewaiya.com
Faten

بالمنشفة . . دراكو أنت الذي هددت بأن تغويني، وليس العكس».

فقال: «أردت أن أتحدث معك عن أنك بحاجة إلى سيارة. . . سيارة صغيرة يبدو أنها شائعة بين الأمهات».

وانخفض صوته بنعومة خطرة اقشعر لها جسدها ثم أضاف برقة:

ـ وعلى كل حال، بما أنك أثرت الموضوع. . .

فقاطعته على الفور:

ـ أنا لم أثر أي موضوع.

ثم احمر وجهها عندما استمر ينظر إليها بعينين غير مقروءتين وهو يقول:

ـ هل أفهم من هذا أنها إشارة إلى أنك تريدين أن. . . تثيري. . . شيئاً ما؟.

وكان صوته رقيقاً بشكل خطر فقالت بعنف:

ـ أنت الذي أصرّيت على استمرار زواجنا وأنت الذي أردت. . . أردت طفلاً.

فقال: «وإذا كان ما أتذكره صحيحاً، أنت التي قلت إن ما من فائدة من أن أحاول إغواءك. وعلى كل حال، إذا كنت تريدين أن تخبريني أنك غيرت رأيك. . ؟».

غيرت رأيها؟ لا. ! أبداً! إنها تفضل الموت على أن تفعل هذا! ولكنها، لسبب ما، وجدت مستحيلاً عليها أن تنطق بهذا الإنكار العنيف.

اكتشفت أنها لا تستطيع أن تحوّل نظرها عن وجهه.

وجدت أنها، لسبب ما، لا تستطيع ذلك.

ـ إيموجين؟.

كان في الطريقة الناعمة التي لفظ بها اسمها سحر وهذا ما جعلها مسمّرة لا تستطيع أن تتحرك إلى أن أمسك بمعصمها وجذبها إليه.

وسمعته يهمس وهو يتشمم شعرها:

ـ أشم فيك رائحة الهواء النقي وأشعة الشمس وأريج الورد.

فردّت عليه تهمس بضعف:

ـ وأنا أشم فيك. . . أشم. . .

وازداد اتساع عينيها، الواسعتين بطبيعتهما، عندما رأت النظرة التي استيقظت بعنف في عينيه. نظرة صياد. . .

سألها بعنف ناعم جعلها ترتجف:

ـ هل لديك فكرة عما في كلمتك هذه من إثارة؟.

وعندما هزت رأسها نفياً، مدّ يده يُميل عنقها إلى الخلف، مرسلاً بذلك دفق من البهجة في كيانها. خدشت أنفاسه الدافئة حواسها. بينما أخذت أصابعه تلامس الجلد الرقيق الحساس عند منبت شعرها، ما جعلها ترتجف بعنف دون أن تعرف السبب.

وقال: «أنت لا تعلمين ما يحدث للرجل حين تخبرينه أن بإمكانك أن تميزي رائحته الخاصة؟ هل أخبرك؟».

كان قد ازداد اقتراباً منها، مطوّقاً إياها ليجعلها تشعر بقوته. فأجفلت كما تجفل العذراء عندما يضمها رجل. ولكن وراء ذلك الإجفال فاض نهر من الأحاسيس، وقالت:

ـ لا.

انزلق استنكارها هذا من بين شفتيها بهمس خافت. وضاعت عندما أخذ يعانقها برقة، ولكن كان في هذه الرقة سيطرة كبيرة، شعرت معها بوهن في ركبتيها.

وسمعته يتمتم: «أكثر؟ أتريدين أكثر؟».

إنها تقسم بأنها لم تقل شيئاً. هل هو جسدها الذي فضحها، أم شفتاها؟

أخذ يهمس: «هل أنت ساحرة، يا إيموجين؟».

www.hamsatrewaiya.com
Faten

حاولت، ورأسها يدور، أن تصغي إلى ما يقوله. ولكن شوقاً عنيفاً اجتاح قلبها ومنعها من ذلك.

ارتجفت بعنف، إذ بدا لها وكأن الزمن عاد بها إلى الوراء، فعادت تشعر مرة أخرى بنفس شعورها وهي مراهقة.

كان جسدها يعتبر دراكو قرينه.. القرين الذي فارقه زمناً طويلاً! والذي أنكره زمناً طويلاً!.

وبسرعة، طوقته بذراعيها تشدّه إليها وعيناها تتوهجان في عينيه بمشاعر محمومة.

سألها برقة: «هل تريدينني؟ متى يا إيموجين؟ الآن؟

وكانت ترتجف تجاوباً. وشعرت كأنها تلقت شحنة كهربائية.

وأجابت بصوت أجش:

ـ نعم، نعم. أريدك يا دراكو!.

أخذت تكرر ذلك بعجلة، وهي تقف على أطراف أصابعها تضمه إليها...

مضت ثانية من دون جواب، ثم أخذ دراكو يعانقها فاستجابت لعناقه بكل طيبة خاطر، محققة بهذا كل تخيلات مراهقتها.

وكانت تعلم أنه، هو وحده القادر على أن يحرّك قلبها ومشاعرها وروحها.

أخذ يحدق إلى عينيها العسليتين، بعينيه الخضراوين اللامعتين ما جعل خفقات قلبها تتسارع. وسألها:

ـ ما هذا؟ هل هذا كثير؟ هل أستعجل الأمور؟.

كان ممسكاً بإحدى يديها، وعندما أشاحت بوجهها غير قادرة على الجواب، اشتدت أصابعه فجأة على يدها بشكل مؤلم تقريباً، فنظرت إليه بسرعة.

قال: «هذا لا يعني أنك لا تريدينني، يا إيموجين؟».

فصدرت عنها شهقة انفعال هي مزيج من الصدمة والبهجة.

ودون أن ينتظر جوابها، استدار متجهاً إلى جناحه وهو يجرها معه بحزم. ولم تحاول أن تقاوم، لم تكن تريد أن تقاوم.

كانت الغرفة مضاءة بأشعة شمس الأصيل التي تشع من خلال الستائر الشفافة، مانحة لون الغرفة التبني وهجاً ذهبياً.

بما أن هذه الغرفة أُلحقت حديثاً بالمنزل الأساسي، لم يكن جوّها يحمل مسحة الحزن التي صدمت مشاعر إيموجين حين دخلت، لأول مرة، إلى هذا المنزل، مسرح طفولتها. لم تكن هذه الغرفة موجودة أيام أبويها. وأقرت بأنها تشعر بالراحة لأن هذه الغرفة لا تحمل في جنباتها ذكريات مؤلمة لها...

قال لها بهدوء:

ـ هذه الغرفة تلائمك، يا إيموجين.

تكلّم وأنامله تداعبان ملامح وجهها الجميلة.

قال: «أنت تحبين هذين اللونين الذهبي والبني».

كانت تشعر بقلبها يغرد فرحاً.

ـ رائعة. أنت رائعة الجمال. أجمل مما كنت أعلم، وإلى حد لا أستطيع معه احتمال النظر إليك. أتعرفين ما يفعل جمالك هذا بي، يا إيموجين؟ وأنا أراك بهذا الشكل؟.

التعبير الذي رأته في أعماق عينيه صدمها وأسعدها... دراكو يريدها. إنها ترى ذلك في عينيه وتسمعه في صوته.

معرفتها هذه كانت كل ما تحتاجه لكي تحلّ آخر خيوط الكبت التي تقيّدها، وتطلق نفسها حرة لتصبح المرأة التي لطالما علمت أنها ستكونها.. مع دراكو.

ـ إيموجين، هل أنت واثقة من أن هذا ما تريدين؟ لأنك إذا لم تكوني راغبة ولم تخبريني الآن...

www.hamsatrewaiya.com
Faten

كيف يطرح عليها سؤالاً كهذا؟ ألا يعرف؟ ألا يرى؟ ألا يشعر؟.

فقالت: «أريدك يا دراكو. أريدك».

واغرورقت عيناها بدموع المشاعر وهي تنظر إلى وجه دراكو وهو يتأملها بنظرات جائعة، جائعة بشكل عنيف.

ـ أريدك يا دراكو. أريدك.

نظرة الانتصار في عينيه صدمتها لحظة.. بدا وكأنها قالت شيئاً، وكأنها أعطته شيئاً لطالما انتظره. ولكن الوقت فات على محاولة تحليل ما رأت. فقد كان يضمها بين ذراعيه، يشدّها إليه.

ثم، لم يعد ثمة مجال للتفكير، لا مجال لأي شيء سوى حقيقة وجوده هنا معها وهو يقودها معه إلى عالم السعادة.

* * *

٦ ـ الوسادة الخالية

فتحت إيموجين عينيها ثم أخذت تتمطى بغبطة، قد لا يكون دراكو بجانبها في الفراش لكنها ما زالت تشعر به.

استدارت ونظرت نحو النافذة. كان يوماً رائعاً، ولماذا لا؟ ما حدث الليلة الماضية ما زال عالقاً بها، يملأها بمشاعر من نفس الوهج الذهبي الذي ترسله الشمس من خلال النافذة، فيلطفه مروره من خلال الستائر الشفافة ليصبح رقيقاً ناعماً.

وهذا ما حصل لمشاعرها، التي لطفها ورققها سلطان الحب. هذا الحب الذي عادت فاكتشفته في رحلة الليلة التي تخطف الأنفاس... عندما احتضنها دراكو.

لعلهما لم يتحدثا عن الحب، لكنهما تنفساه، وتشاركا فيه وتبادلاه فيما بينهما. لا يمكنها أبداً أن تشك في ذلك.

أدارت رأسها وأخذت تتأمل الوسادة التي بجانب وسادتها. الوسادة التي ما زالت تحمل دمغة رأس دراكو. ذلك الشعور الجديد العذب، كان شيئاً جديداً عليها.

أصبح لديها خطط كثيرة لمستقبلها... مستقبلهما، حافلة بالآمال.

وارتجفت وامتلأت نفسها بهجة غير محدودة لم تشأ أن تحللها أو

www.hamasatrewaiya.com
Faten

تعرف كنه مشاعرها، ولا أن تحلل الماضي. لم تشأ أن تجعل شيئاً يتطفل على هذه الذكريات السعيدة التي عرفاها، هي ودراكو.

هي ودراكو معاً...

وربما... ربما فقط. ليست الذكريات وحدها هي التي أوجداها، هي ودراكو!.

وتملكها إحساس عنيف... طفل!

كان دراكو قد قال لها إنه يريد حفيداً لوالدها. والآن يحدثها جسدها بأنه يريد طفلاً لدراكو.

في مكان ما خارج هذا المكان، وراء أشعة الشمس في غرفة النوم، تكمن حقائق معيّنة واضحة، لكن مزاجها لم يسمح لها بأن تعترف بها. ما أهميتها الآن؟ أخذت تعنف نفسها بصمت أرعن، ما الذي يهم، بعد الليلة الماضية أكثر مما كان بينها وبين دراكو؟ مما اكتشفته؟.

الحب الذي حرمها منه وهي فتاة، أغدقه عليها الليلة الماضية. كانت واثقة من ذلك.

حرك النسيم ستائر الموسلين، ملقياً ظلالاً صغيرة على الغرفة، سريعة الزوال كشكوكها غير المرغوب فيها.

إنها تحب دراكو. لو لم تكن تحبه لما منحته الليلة الماضية أعمق أحاسيسها.

ومن المؤكد أنه هو أيضاً ما كان ليلمسها ويحبها لو لم يكن يهتم لها ويبادلها الحب.

الحب... ما أصغرها كلمة تعني ذلك الشعور المطلق غير المحدود! هل كانت تعرف حقاً ما هو؟ لقد انتقلت من حب دراكو إلى كراهيته، ثم، الليلة الماضية... وتنفست إيموجين بعمق، تريد أن يكون تفكيرها منطقياً واقعياً.

ولكن من دون فائدة. في كل مرة حاولت ذلك، كان كل ما تراه هو

وجه دراكو، وما تسمعه هو صوته.

إنها امرأة، وفي الثانية والعشرين من العمر، كما أخذت تذكّر نفسها بعنف، حتى ولو كانت عذراء جسدياً، إلا أنها من النضج بحيث تعلم أن العلاقة الزوجية، مهما كانت رائعة، هي غير الحب.

رفض قلبها أن يقرّ بهذه الأفكار العديمة الأهمية. لأن ما تشاركاه، هي ودراكو، كان أكثر من مجرد علاقة عابرة، بل لامس كل منهما قلب الآخر... روح الآخر. ومهما حدث لكل منهما في حياته قبل الليلة الماضية، لم يعد مهماً. كان كيانها كله يرتجف ويغني طرباً... كل ما كانت تريده هو أن تبقى مع دراكو، أن تتشرب حقيقته وتشعر بحبه.

ابتسمت إيموجين بأسف لاستهتارها هذا. عليها هي ودراكو، أن يتفاهما، أن يواجها بعضهما البعض وماضيهما المشترك.

أخذت نفساً عميقاً آخر... على ضوء ما حدث بينهما، كانا راشدين، لا بدّ، لكي يناقشا كل شيء، مستقبلهما وماضيهما كأي شخصين راشدين...

حان الوقت لتنهض... لتواجه النهار... ودراكو.

* * *

توقفت إيموجين عند أعلى السلم، ونظرت من خلال الدرابزين، إلى الردهة. اتجهت ببصرها إلى الباب المغلق لما كان يوماً مكتباً لأبيها فأصبح الآن لزوجها. زوجها دراكو! مجرد التفكير في ذلك منحها دفئاً لذيذاً. دراكو، زوجها. والد ابنها... ابنهما... كان هذا شعوراً لا يختلف عن لمسة موسيقار ماهر على وتر يرتعش على جلدها.

وفجأة، تملكها الشوق لرؤيته، لأن تكون معه... لأن تمدّ يديها وتجذب رأسه الأسود الشعر إليها.

وأسرعت في سيرها خالية البال.

كان باب المكتب مغلقاً، فوقفت خارجاً شاعرة فجأة بنوع من

www.hamsatrewaiya.com Faten

التوتر. حواسها مرهفة بشكل غير عادي. كادت تشم تقريباً وتذوق الغبار الذي يتراقص في أشعة الشمس. هول هذه اللحظة وما قد تسفر عنه جعل قلبها يخفق بشكل غير ثابت. خلف هذا الباب، لم يكن دراكو فقط، ولكن مستقبلها. مستقبلهما، واحتمالات مستقبل ابنهما.

ووضعت يدها على بطنها بحركة غريزية. ما زال الوقت باكراً لكي تعلم ما إذا كانت أمس. . .

أطلقت شهقة صغيرة عندما انفتح الباب ووقف دراكو ينظر إليها، مقطباً جبينه. وقطبت هي جبينها بدورها. وبينما كان تقطيبه ينم عن فروغ صبر وشرود، كان تقطيبها ينم عن استفهام واهتمام.

- إيموجين؟.

حتى طريقة نطقه لاسمها كان فيها نوع من الخشونة. لاحظت ذلك بينما راح بصرها ينزلق من وجهه إلى جسمه. كان يرتدي بذلة عمل قاتمة اللون، سترته مفتوحة على قميص أبيض منشى. وعندما أخذت تنظر إليه، نظر إلى ساعته.

لم يكن المرء بحاجة إلى ذكاء بالغ ليلاحظ فروغ صبره.

فقالت: «كأنك مشغول جداً. كنت آملة أن نتمكن من التفاهم».

فسألها: «نتفاهم؟ بشأن ماذا؟».

لم تكن هذه بداية مشجعة لها. لكنها لم تعد مراهقة تنظر إلى نجمها السينمائي المعبود. إنها ودراكو متماثلان الآن.

فأجابت بهدوء: «بشأننا، وبشأن الليلة الماضية».

شعرت بالزهو لاستطاعتها الحفاظ على نظراتها ثابتة أمام النظرة التي رمقها بها دراكو وهو يقول:

- الليلة الماضية؟.

أصبح صوته أكثر اختصاراً، فيه نبرة حادة نبهت إيموجين إلى أنها تسير في طريق لا جدوى منه.

اقتربت منه وقالت برقة:

- نعم يا دراكو. الليلة الماضية. . . أنت تتذكر الليلة الماضية، أليس كذلك؟.

عندما قالت هذا تحولت السخرية الرقيقة في صوتها إلى حنان شعّ من عينيها.

قال: «ما أتذكره هو علاقتنا الجسدية».

قسوة هذه الكلمات الباردة مزقت أحلام وآمال إيموجين الرقيقة الحارة المتألقة. وقالت تردد كلمته:

- علاقة جسدية؟.

سمعت التلعثم في صوتها وشعرت بالقلق وبالحاجة إلى الاطمئنان. لكن دراكو أشاح بوجهه عنها وهو ينظر نحو الباب بضيق وكأنه متلهف إلى الهرب.

هتفت باحتجاج بصوت يرتجف ألماً:

- دراكو. لم يكن ذلك مجرد جنس. بل كان. . .

شعرت بالعجز بسبب شروده، لم تستطع أن تحمل نفسها على النطق بكلمة (حب).

وبدلاً من ذلك، قالت تحتج:

- كان شيئاً أكثر من ذلك.

فقال يعارضها بقوة:

- بل كان مجرد جنس، يا إيموجين.

ظلّ مشيحاً بوجهه عنها لكنها كانت ترى جانب وجهه. . . ترى التواء فمه الكئيب وعبوس ملامحه وكأنه يريد إنهاء الحديث.

لكن عنادها رفض أن يجعلها تسمح بذلك. وكأنه أحس بذلك إذ سمعته يتنفس بسخط واضح قبل أن يواجهها مباشرة بنظرات فاحصة باردة رافضة اكتسحتها من الرأس إلى القدم.

وكرر قوله: «بل هو كذلك. لا أكثر ولا أقل».

كل العواطف التي كانت جزءاً قوياً من طبيعتها، ثارت الآن في داخلها.

ما شعرت به معه الليلة الماضية، كان أكثر أهمية من أن يزاح جانباً. إنها تؤمن بمشاعرها وغريزتها، حتى ولو لم يفعل دراكو ذلك. وهي على استعداد لأن تناضل وتناضل بقوة، في سبيل أن تظهر مشاعرها تلك.

فقالت: «أنا راشدة في الثانية والعشرين، يا دراكو وكنت مستقلة بحياتي في السنوات الأربع الأخيرة. ولعلك تتذكرني مراهقة ساذجة، لكن المرأة التي أخذتها بين ذراعيك الليلة الماضية...».

فقاطع دراكو حديثها الملتهب قائلاً:

ـ كانت عذراء ساذجة.

كان يتأملها بشكل حيادي تقريباً ليرى ردة فعلها. وتابع يقول:

ـ أنا أتذكرك عندما كنت صبية صغيرة، يا إيموجين. مراهقة شاعرية العواطف، مثالية التفكير إلى حد أنها لا تحبّذ العلاقة الجسدية بين رجل وامرأة، إلا في إطار (الحب). أنت تدعين أنك ناضجة.

هذا التحليل الهادىء القاسي حبس أنفاسها. بدا وكأنه مصمم على أن ينزع أيّ شعور عما حصل بينهما وتحويله إلى شيء بارد لا معنى له.

وتابع دون رحمة: «العلاقة الجسدية شيء والحب شيء آخر... فحبك لشخص ما، يا إيموجين، يعني أن تعرفيه، وتتقبليه وتقدّريه كما هو. وأنا وأنت لسنا...».

لم تكن إيموجين مستعدة لسماع المزيد، فتقدمت إليه بجرأة حتى كادت تلمسه. وعندما وضعت يدها على ذراعه شعرت بعضلاته تتوتر تحت لمسها.

فقال: «إيموجين. لديّ موعد، وأنا سأتأخر عنه حتماً».

ولأنها تريد منه أن يسمح لها باختراق الحواجز التي ألقاها بينهما، مالت عليه هامسة:

ـ دراكو، أرجوك... لا بد أن الليلة الماضية عنت لك شيئاً. أنا...

قال: «عنت شيئاً كثيراً».

شعرت إيموجين بعينيها تغرورقان بالدموع. لكن ارتياحها كان قصير الأمد. لأنه، بدلاً من أن يطمئنها كما تمنت، قال لها بإيجاز:

ـ إنها تعني، أنه سيكون لدينا طفل بعد تسعة أشهر من هذه الليلة. هذا إن كنا محظوظين طبعاً. سيكون لدي ابن أو ابنة يجري في عروقها دم أبيك، وهذا هو سبب علاقتنا الليلة الماضية.

ما كان ليستطيع أن يريها مدى عدم أهميتها لديه بطريقة أوضح من ذلك.

غامت الرؤية أمام عينيها وهي تحدّق في السلم الذي نزلت منه منذ نصف ساعة.

كان دراكو قد وصل إلى الباب الخارجي. وبشكل ما، استطاعت أن تستدير إليه وتقول بتحدٍ:

ـ وإذا... إذا لم نكن... محظوظين؟.

توقف قليلاً قبل أن يقول لها بهدوء:

ـ في تلك الحالة سنحاول مرة أخرى إلى أن يحدث الحمل.

وعندما خرج، شعرت وكأن كيانها يتمزق. كيف بإمكانها أن تحتمل ذلك؟.

لم تبك. لم تستطع. كان الأمر أشبه بجرح عميق في داخلها يدمرها من دون أي أثر ظاهر له.

سار دراكو في طريق المنزل نحو الشارع العام، من دون أن يذعن لمشاعره. ولكن عندما وصل إلى الشارع، أدرك أنه إذا استمر في طريقه

www.hamsatrewaiya.com
Faten

بمثل شعوره الحالي، فسيشكّل خطراً على نفسه وعلى الآخرين.

أوقف سيارته وهو يشتم بصوت منخفض.

لقد كذب على إيموجين بالنسبة إلى الموعد المستعجل. فقد كان في طريقه إلى محاميه دايفيد برايانت لكي يوقّع على وصيته الجديدة التي طلب منه أن يضعها. وقد قال له المحامي عندما شرح له دراكو ما يريد:

ـ أنت تريد أن تجعل إيموجين وأي طفل قد تنجبه المستفيدين الرئيسيين من أملاكك؟ حديثنا هنا عن ميراث ضخم للغاية، يا دراكو. تقول إنك تريد أن يكون لإيموجين السيطرة الكاملة عليه؟.

وتوقف متردداً ثم تابع يقول:

ـ من المعتاد، في ميراث واسع كهذا، أن يعيّن أوصياء أو يوضع في البنك في الائتمان.

فكان أن أجاب دراكو بحزم:

ـ ليس هناك من أئتمنه أكثر من إيموجين.

لن تعلم إيموجين قط ماذا فعلت به الليلة الماضية، وما سببته له، من شعور بالذنب لا يحتمل، ومن ندم.. ومن سرور أيضاً! سرور من المستحيل قياسه. كيف بإمكانه أن يعيش شيئاً طالما اشتاق وتلهف إليه؟ كيف يمكنه أن يقيس عرض وعمق شعوره بعد ليلة لم تعرف عيناه فيها النوم، عندما مال عليها حالما بزغ الفجر لينظر إلى وجهها النائم؟

حتى في نومها كانت تبتسم، وقد استدارت شفتاها بدفء ناعم. دموع الرضا التي ذرفتها بين ذراعيه كانت قد ذهبت، لكن آثارها ظلت. كانت نائمة والإغراء بأن يضمها إليه كاد يهزمه.

كان يعلم أنه منحها البهجة..

لكنه كان دوماً يعلم أنه سيكون بينهما بهجة... كان يعلم هذا من اللحظة التي تطلّع فيها، من خلال تلك الفتاة الخجول، ليرى المرأة التي ستصبح عليها.

لقد أرادته حينذاك بقوة، وكان هو يعرف ذلك، ويعرف أيضاً أنه منجذب إليها بنفس الشوق الذي تشعر هي به نحوه. الفرق الوحيد الذي بينهما أنه كان راشداً أما هي فلا. رجل راشد له رغبات الرجل الراشد نحو رفيقة، امرأة.

أغمض دراكو عينيه وأخذ نفساً عميقاً.

ما أخبرها به عن رغبته في ولد يجري في عروقه دم أبيها، كان صحيحاً لكنه جزء من الحقيقة فقط.

كان أبوها، جون أتكنز، رجلاً ثاقب البصيرة وأباً شغوفاً. ولكن شغف إيموجين المتزايد بدراكو دفعه إلى أن يقول له ذات يوم، في حديث صريح بين رجل ورجل، وذلك عشية يوم مولد إيموجين السادس عشر:

ـ إنها تتصور أنها تحبك.

أجابه دراكو: «أعلم هذا. وأنا أحبها يا جون. وأعلم أيضاً بأنها ما زالت صغيرة جداً...».

فكان أن قاطعه جون على الفور:

ـ دراكو. أنا لا أعترض على شعورك نحوها. ولكن أريد منك بصفتي والدها أن تعطيني كلمة وعد بأن تدعها تكبر وتنضج وتختبر الحياة قبل أن تخبرها بأنك تحبها. إذا كنت تحبها فستفهم لماذا أطلب منك هذا.

وطبعاً كان دراكو يفهم. ولكن التفكير في أن عليه أن يقف جانباً ويراقب الفتاة التي يحبها وهي تكبر فتحب رجلاً آخر، كان يمزقه تمزيقاً.

وكان أبوها قد تابع كلامه بعطف:

ـ إذا أصبحتما، أنت وإيموجين، حبيبين في النهاية، أعدك بأن لا شيء سيسرني أكثر من ذلك. يجب أن تكونا راشدين متماثلين أنتما

www.hamsatrewaiya.com
Faten

الاثنين. لكم ليس الآن وإيموجين، رغم اعتقادها أنها مشغوفة بك، ما زالت طفلة تقريباً. أنا أعرف كم سيكون طلبي هذا صعباً عليك، ولكن، لأجل إيموجين ولأجل الحب الذي أرجو أن تتبادلاه يوماً ما، هل لك أن تعدني بألاّ تخبرها بحبك لها إلا بعد أن تبلغ الحادية والعشرين؟.

الحادية والعشرون. خمس سنوات! لكن دراكو كان يعلم لماذا يطلب أبوها هذا منه. وهكذا وعده بذلك. ولو كانت إيموجين ابنته، لفعل الشيء نفسه بالضبط.

كان قد حدّث نفسه بعد موت أبيها بأنه مدين لصديقه وناصحه، بأن يحمي ابنته الوحيدة حتى من نفسه، لكن الظروف أرغمته على الزواج بإيموجين لأجل مصلحتها.

ويا للعذاب الذي عاناه بسبب هذا القرار! وأخيراً قصد إلى «هنري فيربورن»، محامي جون وصديقه، يستشيره.

كان قد قرر ألاّ يخلف وعده لوالد إيموجين، وأنه، بشكل ما، سيجد القوة لكي يتأكد من أن زواجه بإيموجين سيكون بالاسم فقط، كما سيتأكد من ألاّ تعلم شيئاً عن شعوره نحوها.

ولكنهما، عندما غادرا الكنيسة، سألته إن كان هناك امرأة يحبها، فأدرك أنها تعلم الحقيقة. فقد بدا في عينيها أنها كانت تعرف جواب هذا السؤال. وأوضحت ردة فعلها هذه، شعورها.

وعلى كل حال، ليس هناك طريقة أوضح من الهرب لكي يعلن الشخص عن عدم قبوله حب الشخص الآخر.

يومذاك عنّفته ليزا لأنه أقدم على الزواج بإيموجين الصغيرة التي تخاف بلا شك من العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة.

قالت له ويدها على ذراعه تمسّدها بإغراء:

ـ الرجل الحقيقي يحتاج امرأة حقيقية يا دراكو.

لكنه نفض حينذاك يدها عن ذراعه، يكاد لا يستطيع إخفاء كراهيته لها، وألمه من فقدان إيموجين.

ومنعه من اللحاق بإيموجين وإعادتها إليه شعوره بالذنب والندم والألم.

وكيف يمكنه أن يدّعي أنه يحبها، ثم يفرض عليها حبه هذا بينما هي لا تريده؟.

بعدئذ، أخبره دايفيد برايانت عن الرسالة التي تلقاها منها. وأخذ جزء منه ينظر إليه باحتقار وعبوس حين جلس يضع خطة لكي...

لكي ماذا؟ ألا يستطيع حتى أن يعترف لنفسه بما فعله؟ حسناً، ربما حان الوقت لكي يفعل هذا. فقد احتال على إيموجين واستدرجها لكي تعود إليه. وكانت النتيجة تفوق أغرب أحلامه التي كان يستعيدها في ليالي الشوق الطويلة إليها.

سماعه تلك النبرة في صوتها وهي تتحدث عن الليلة الماضية، جعله يهمّ بأن يأخذها بين ذراعيه على الفور ويريها أن الليلة الماضية لم تكن سوى جزء بسيط مما بإمكانهما أن يعيشاه معاً.

ولكن ما كان يريده منها ليس متعة جسدية فحسب، بل حبها الذي يماثل حبه لها، الحب الذي هو أبعد من مجرد تبادل المسرات. نعم، لقد أرضاه أن يعلم أن إيموجين تريده، لكنه كان سروراً مراً عفناً. فهو يريد حبها وليس جسدها، وكيف يمكنه أن يحصل على ذلك بعد ما فعله؟.

وجد دراكو من الصعب أن يفسر لنفسه لماذا تصرف بذلك الشكل حين ظنت إيموجين أنه يريد الطلاق.

نعم، هو يريد منها أن تحمل ابنه، ونعم، هو يريد أن يجري في عروق ابنه دم ذلك الرجل الذي عنى له الكثير. ولكن أن يتخذ ذلك عذراً لكي يتمّم زواجه من إيموجين بالرغم عنها... لم يكن هناك تفسير

www.hamasatrewaiya.com
Faten

مقبول لما فعل.

فتح دراكو عينيه. لقد تقفّى أثر إيموجين طوال غيابها، عالماً أن هذا ما كان أبوها ليفعله لو كان حياً.

لم يكن ينوي، ولو لحظة واحدة، أن... ولكن لسبب ما، خرج الأمر من يده، ووجد السيطرة على مشاعره أصعب كثيراً مما كان يظن. حقيقة التعامل مع امرأة ناضجة وليس مع فتاة جعلته يدرك مبلغ ضعفه.

حاول أن يبقى بعيداً عنها قدر الإمكان، فأقام بالعمل بعيداً عن البيت، ونام في مكتبه. ولكن الليلة الماضية انهارت كل خططه، مع انهيار سيطرته على نفسه. لقد فعل الليلة الماضية كل ما عاهد نفسه على ألا يفعله أبداً مهما كانت الظروف.

والآن، كانت إيموجين تخبره بأنها تحبه... ليس لأنها تحبه حقاً، بل لأنه الرجل الأول في حياتها، رجلها الوحيد. وبالنسبة إلى امرأة مثالية مثل إيموجين، هذا يعني أنها ما كانت لتسمح لنفسها بالشعور بالمتعة بدون حب. لكنها لم تكن تحبه حين هربت منه يوم الزفاف.

اليوم رأى الألم في عينيها فتاق إلى أن يأخذها بين ذراعيه، وأن يخبرها بشعوره نحوها، وماذا فعلت به وما تفعل به دوماً.

لم يكن يعلم ما الذي يؤلمه أكثر... حبه لها أم شعوره بالذنب.

عاد دراكو فأغمض عينيه. لم يكن لديه فكرة كم أمضى من الوقت جالساً هنا في سيارته.

كان جالساً في المكتب في البيت الذي غادره لتوه، مكتب والد إيموجين، وكان ذلك صبيحة عيد ميلاد إيموجين السابع عشر، تلك الصبيحة التي نزلت فيها السلم وتوسلت إليه بخجل أن يعانقها بمناسبة عيد ميلادها... وكان يعلم أن عليه أن يلتمس موافقة أبيها، صديقه، على أن يحلّه من وعده... قبل جون أتكينز بلطف حين أنهى دراكو

حديثه المختصر، وقال:

- نعم. أنا أعلم مبلغ صعوبة الأمر، يا دراكو. ولكن إيموجين هي في السابعة عشرة فقط.

فقال دراكو متنهداً:

- سبعة عشر وكأنها ألف. إنها تنظر إلي أحياناً بكل المعرفة التي تكمن في عيني كل امرأة. وفي أحيان أخرى...

عند ذلك سكت وهز رأسه.

- في أحيان أخرى تنظر إلي ببراءة الطفل.

وكان والد إيموجين قد أجاب بلطف:

- والبراءة ومستقبل تلك الفتاة هما ما أريدك أن تحمي، يا دراكو.

حينذاك نهض وجاء إليه يضع يده على ذراعه بشكل أبوي. ثم تابع بصوت أكثر رزانة:

- إذا كنت تحبها، فهذا يعني أنك تريد منها أن تمنحك حبها كامرأة، لا كصبية ساذجة.

أصابت كلماته الهدف، وأقرّ دراكو بصحتها.

فقال: «لا شيء سيغير أبداً شعوري نحوها. ولكن لأجلها، سأفعل ما طلبته مني، وأنتظر».

حينذاك قال له أبوها بلطف:

- هذا صعب عليّ كما هو صعب عليك... عندما قلت إنني أحبك كابن لي، فأنا عنيت هذا بالضبط، ولا يسرني أكثر من أن تكون زوجاً لابنتي.

لكن إيموجين ما زالت صغيرة على احتمال حب الرجل. إنها بحاجة إلى وقت ومجال لكي تنمو بشكل صحيح.

لقد كره نفسه لما فعله الليلة الماضية. شعر بأن مشاعره وحبه ورغبته واستمرار شوقه إلى إيموجين الذي استحال إلى حريق هائل، قد

www.hamsatrewaiya.com
Eaten

أفسد مشاعره وجعله لا يستطيع منع نفسه في اللحظة التي لمسها فيها.

وما زال يشعر بها الآن، عالماً أنه سيشعر بذلك إلى الأبد وبأنه سيحبها إلى الأبد.

مضت ساعة منذ أوقف سيارته. تناول تليفونه الخلوي واتصل بدايڤيد برايانت المحامي ليعلمه أنه سيتأخر عن موعد الاجتماع.

* * *

أخذت إيموجين تقتلع نبات القراص بحقد من بين الورود التي تتذكر أن أمها غرستها. وكانت تتمتم بغضب عندما شعرت بالنبات يخزها من خلال قفازيها السميكين.

كان لرفض دراكو لحبها، تأثير مضاد أبرز فيها قوة عنيفة لم تكن تعلم أنها تملكها.

كيف يجرؤ على أن يقول لها إنها لا تعلم ما هو الحب؟ واقتلعت بغضب نبتة قراص أخرى.

كيف يجرؤ على أن يتهمها بأنها ساذجة واقتلعت مزيداً من القراص.

لكنها صرخت ألماً عندما فقدت التركيز لحظة وهي تتصارع مع الصور التي تعتمل في دماغها، فكانت النتيجة تذكيراً حاداً بأن القراص إذا عومل باهمال، يمكن أن يخز.

وتأوهت بصوت عال، وهي تفحص احمراراً ظهر على راحة يدها بسرعة.

مثل دراكو، فاجأها على غير انتباه، فكانت النتيجة الألم. حسناً، هذه المرة، يمكنها أن ترد بالثأر. على الأقل أخذت تفكر في ذلك عابسة وهي تنحني بحزم على هذه الأعشاب الطفيلية ثم تقتلعها من التربة.

وخاطبت القراص ظافرة:

ـ والآن، هل أعجبك هذا؟.

ـ المعذرة.

صوت الرجل المتردد خلفها جعلها تستدير وقد احمر وجهها خجلاً لأنه رآها تخاطب النبات. قالت بلهجة مترددة تخاطب الشاب الذي وقف على بعد خطوات منها:

ـ لقد وخزتني بشوكها.

فقال: «زوجتي أيضاً تكره القراص».

ضحك ثم تابع يقول:

ـ كنت أبحث عن دراكو. قرعت الجرس ولكن لم يجب أحد، ثم رأيتك هنا في الحديقة. لا بد أنك زوجته.

من يكون هذا الشاب وكيف علم أن دراكو متزوج؟ وقالت له:

ـ نعم، نعم. أنا زوجته.

وكأنه تكهن بما تفكر فيه فقال بسرعة:

ـ أنا روبرت بيتس، وأنا أشتغل عند دراكو. لقد ترك خبراً في المكتب يقول... يقول فيه إنه تزوج، وطلب مني أن أحضر له بعض الأوراق التي يحتاجها.

قالت مازحة: «ولهذا افترضت أنني زوجته؟».

أجاب: «ليس لهذا فقط. لديه صورة لك على مكتبه، فعرفتك على الفور. كان أبوك هو الذي أسس العمل أليس كذلك؟ دراكو حدثني عنه».

تملكت الدهشة إيموجين. لدى دراكو صورة لها؟ وتذكرت أن أباها طلب أن تؤخذ لها صورة في يوم مولدها السابع عشر. ومن المفروض أن دراكو ورثها مع المكتب. على كل حال، وقبل أن تجيب قال زائرها شيئاً آخر زاد في دهشتها:

ـ أعرف أن أباك هو الذي أسس العمل، لكن دراكو من جعله

www.hamsatrewaiya.com
Faten

ناجحاً كما هو اليوم.

وكانت إيموجين، أثناء حديثه، تسمع الإعجاب والاحترام في لهجته:

ـ لم أستطع أن أصدق حظي السعيد حين وظفني عنده، لأنه لم يكن لدي المؤهلات أو الخبرة.

قالت: «سأعطي دراكو هذه الأوراق إذا شئت أن تتركها معي. ولكن دعنا ندخل إلى البيت أولاً لتناول كوب شاي. هل تريد فنجاناً؟».

فأجاب: «لا. لقد وعدت ناتاشا بأن لا أتأخر، فاليوم عيد زواجنا ووالداها سيأخذاننا إلى العشاء».

بعد أن خرج الزائر، أخذت تفكر في دراكو.

شعرت بألم بالغ في يدها حيث وخزها نبات القراص. كانت دوماً حساسة لوخزاته، ورافق الطفح الجلدي الآن خدر مزعج، وورم في يدها وأصابعها.

أخذت تمسد يدها بشرود، مفكرة في أبيه الذي كان يفكر دائماً في دراكو. كان أبوها يتمتع بتقدير بالغ بين معارفه لحكمه الذكي على الآخرين. وتمنت لو كان موجوداً الآن لكي تلجأ إليه.

لم يعد دراكو... وعندما يعود، وأخذت تحسب بسرعة متى بإمكانها أن تعرف ما إذا كانت حاملاً؟.

وإذا لم تكن كذلك؟ واحمر وجهها وهي تعلم أن سبب تسارع خفقات قلبها هو فكرة تكرار الليلة الماضية، ولكن دراكو لا يحبها، وحسب قوله، لا يمكن لها أن تحبه.

بمن كان يفكر حين كان معها ليلة أمس.

وغالبت دموعها الحارة التي لا تريدها أن تنهمر.

عندما كانت صبية صغيرة، بكت لأن حب أبيها تحوّل عنها إلى

ليزا. أما الآن فهي لا تريد أن تبكي لأن حب دراكو تحوّل إلى زوجة أبيها. لا، أبداً!.

* * *

تنهدت إيموجين وهي تسمع صوت جرس الباب يقرع بإلحاح. من الواضح أن هذا اليوم هو يوم الزيارة لديها.

نزلت السلم بسرعة وفتحت الباب وإذا بها تحدق في وجه زائرتها غير المرغوب فيها...

وكان مستحيلاً عليها أن تكبح الصدمة التي أصابتها: «ليزا؟».

كانت زوجة أبيها ترتدي بنطلوناً أبيض، ووجهها وجسمها قد صبغتهما شمس العطلة في جزر البحر الكاريبي.

حملقت في إيموجين، ثم دخلت إلى الردهة من دون استئذان وسألت بحدة:

ـ أين دراكو؟ أريد أن أتحدث إليه. هل هو في المكتب؟.

وسارت نحو باب المكتب قبل أن تستطيع إيموجين منعها، ثم قالت لها بقدر ما تمكنت من هدوء:

ـ لا. ليس هنا.

يكفي سوءاً أن ترى زوجة أبيها في هذا البيت الذي أصبح بوجودها فيه، مصدر عذاب لها.

قالت ليزا بغضب:

ـ أين هو إذن؟.

أجابت إيموجين كارهة:

ـ في العمل.

ودت لو أنها لا تجيبها أبداً... وودت لو تطردها من البيت على الفور.

فقالت ليزا تعيّرها ساخرة بشكل مهين:

www.hamasatrewaiya.com
Faten

ـ أتعنين أنه ينام الآن في شقته في لندن لأنه لا يطيق أن ينام معك هنا؟ من المؤسف أنك دوماً تتنافسين معي، يا إيموجين. لولا ذلك لتعلمت درساً أو درسين ينفعانك. كحقيقة أن الرجل لا يكره شيئاً كما يكره المرأة التي لا تملك كرامة. لقد نبهتني ميراندا إلى أنك عدت زحفاً إليه. ولسبب ما، لم يدهشني هذا تماماً، ولكن هذا لن يفيدك بشيء.

كانت إيموجين قد سمعت ما يكفي. وهي لم تعد تلك المراهقة الخجول المتألمة، التي تدرك بالغريزة أن عليها أن تكون مهذبة مع الأكبر منها مهما جرحوها. لقد حان الوقت لكي تذوق ليزا نفس دوائها، وكانت إيموجين على استعداد تام لمناولتها إياه الآن. فما الذي ستخسره؟ لقد سبق وأخبرها دراكو أنه لا يحبها.

قالت لليزا بحلاوة مصطنعة:

ـ الحقيقة هي أن دراكو هو الذي أصرّ على أن يمنح زواجنا فرصة أخرى، وليس أنا.

لو أنها لم تكن تستمتع بهذا الموقف، لصدمها هذا التشفي العنيف الذي شعرت به حين رأت أن كلماتها سبّبت هذه النظرة القصيرة العنيفة في عيني ليزا.

ـ وليس حصتي في الشركة هي ما يريد فقط يا ليزا.

قالت ليزا بلؤم:

ـ حسناً، لكنني لا أظنه يرغب في جسدك! فلو كان ذلك صحيحا لبقي هنا معك.

فقالت إيموجين: «ربما عليّ أن أدعه يخبرك بنفسه ما يريده من زواجنا. إلا إذا سبق أن أخبرك، بالطبع».

كانت تستمتع تقريباً بتأثير كلماتها هذه على زوجة أبيها، التي راحت تحدق فيها الآن وكأنها تراها لأول مرة، ثم هزت كتفيها:

ـ أنا ودراكو لا نتحدث عنك، يا إيموجين، فلدينا أشياء أهم من

ذلك بكثير لنتحدث عنها.

شعرت إيموجين بسيطرتها على نفسها تتحطم كما فارقها ذلك السيل من النشاط بنفس السرعة التي أتى بها، تاركاً خلفه ألماً مبرّحاً. وقالت بمرارة:

ـ نعم. مثل الحديث عن كيف خدعتما أبي أنتما الإثنين.

رأت من ابتسامة الإعجاب بالنفس التي بدت على شفتي المرأة أنها سمحت لمشاعرها بأن تخونها.

وقالت ليزا: «هذا مجرد افتراض منك يا إيموجين. إتهام لا يمكنك إثباته بسهولة».

فردت عليها بحدة: «لست مضطرة إلى إثباته. لقد سبق أن أريتماني، أنت ودراكو، مبلغ صحة ذلك. علاقتكما...

فقاطعتها ليزا: «هل أخبرك دراكو نفسه بذلك؟».

ثم ابتسمت فجأة وكأنما سرها أن تبدو امرأة حطمت عهودها الزوجية.

فقالت إيموجين: «لم يكن بحاجة لأن يخبرني، أنت فعلت ذلك... يوم زفافي».

فاتسعت ابتسامة ليزا: «نعم، لقد فعلت هذا، مسكينة يا إيموجين الصغيرة... كنت ساذجة... وغبية للغاية... إممم... حسناً، إذا كان دراكو في مكتبه، فسأذهب لأراه هناك. أنا واثقة من أنه سيسرّ باجتماع شملنا في تلك العزلة».

ومضت تقول بغنج وكأنها تعنّف نفسها:

ـ لم يرني منذ شهر. وشهر بالنسبة إلى رجل كدراكو هو وقت طويل. لا تنتظري أن يعود إلى البيت بسرعة، أيتها السيدة بارينغتون.

وخرجت من الباب قبل أن تجد إيموجين جواباً مناسباً ترد به عليها.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

إذن، فقد كان هذا صحيحاً! ما زال دراكو يقابل ليزا. ما زال يحبها. وهي لن تبكي. لا، أبداً.

* * *

٧ ـ طائر بلا جناح

ـ هل أنت بخير، يا إيموجين؟.

فأجابت: «أنا بخير».

وكان صوتها مجرداً من المشاعر.

فسألها بحدة: «لماذا لا تأكلين عشاءك إذن؟».

إنهما يعيشان معاً، زوجاً وزوجة، منذ أكثر من شهر. كانت إيموجين تستغل أوقات الفراغ في غياب دراكو في عمله، لإصلاح وتجديد البيت. وهذا ساعدها على البقاء مشغولة ظاهراً.

لم يأت على ذكر ليزا منذ جاءت إلى البيت تسأل عنه. وكانت إيموجين مصممة بعناد على ألا تكون هي البادئة بذكر اسمها، لأنها كنت تخاف من ألا تقدر على إخفاء مشاعرها إن هي ذكرت ليزا.

أجابت إيموجين عن سؤال دراكو ببرودة:

ـ لأنني لست جائعة.

ورفعت بصرها ليشتبك ببصره عبر المائدة الجميلة التي رأتها في متجر للأثاث القديم فاشترتها بمبلغ خلّف لديها شعوراً بالذنب كان يخفف منه قليلاً سرورها وهي تمرّ بأناملها على خشبها القديم المصقول.

www.hamasatrewaiya.com Faten

دهشت وهي ترى نفسها تعود إلى الحياة بسهولة غير متوقعة، هنا في مدينتهما الصغيرة.

ما زالت تفكر طبعاً في ريو دي جانيرو، وفي أولاد الملجأ. ذلك أن تصميمها على مساعدتهم هو الذي أوقعها في هذا الوضع الحافل بالكوابيس. ستعود يوماً ما. إنما لديها الآن أولويات تأخذ وقتها وانتباهها.

قالت تتحداه: «ماذا حدث يا دراكو؟ هل كنت ترجو أن أقول إنني لا آكل طعامي لأنني أشعر بالغثيان؟ لأنني حامل؟».

وهزت رأسها وابتسمت له بخشونة:

ـ أنا آسفة أن أخيّب أملك، لكنني لست حاملاً مع الأسف. مسكين أنت إذ عليك أن ترغم نفسك على التقرب مني مرة أخرى.

وأطلقت ضحكة قصيرة جافة هشة ككؤوس البلور التي أمامهما. لم تكد تعرف هذه المرأة المنتقمة الحاقدة التي شعرت بأنها انتهت إليها.

www.hamasatrewaiya.com Faten

وقالت: «ربما علينا أن نستنير بالعلم ونعلم بالضبط موعد قابلية المرأة للحمل. فلا أحد منا يريد علاقة زوجية حين لا تكون هناك ضرورة لذلك».

وبشكل ما، استطاعت أن ترسم على فمها ابتسامة صغيرة عذبة مصطنعة وهي تقترح عليه ذلك.

فقال: «أنت تكذبين عليّ يا إيموجين».

وبدون وعي، نظرت إليه للحظة، مصدومة. كان يتكهن فقط. لا يمكن أبداً أن يعلم... هي نفسها لم تكن واثقة... ولكنها تعاني نوبات دوار غير عادية، ولا تحتمل احتساء فنجان قهوتها الصباحية الثقيلة...

فقال: «أنت تريدينني... تريدينني بلهفة والواقع أنني أشعر برغبة

قوية في تلبية حاجاتك ولو لأثبت لك ذلك».

تملكها ارتياح بالغ. إنه لا يعلم. وهو لم يكن يعني ما خطر في بالها ولكن حقيقة ما كان قاله ملأتها بتوقعات مكهربة.

قالت: «أنت مخطىء. أنا لا أريدك».

ما الذي تفعله بحق الله فهي تدفعه إلى نقطة لا يكون له فيها خيار سوى...

شهقت عندما وقف وسار نحوها وهو يقول: «لقد أردتك قبل أن تتحديني، يا إيموجين».

وصل إليها الآن وأمسك بها يجذبها ثم شدها يضمها إليه ونظر في عينيها وهو يلوي فمه بوقاحة بينما نظراته تطوف متمهلة من رأسها إلى أخمص قدميها. نظراته هذه جعلت الحرارة تلهب وجهها.

سألها برقة: «ولكن، من ناحية أخرى، هذا ما كنت تريدينه مني بالضبط، أليس كذلك؟».

لم يخرج رفضها من فمها لأن دراكو أقبل عليها يعانقها بمشاعر ملتهبة أيقظت حواسها.

كانا وكأنهما يخوضان معركة كل منهما مصمم على الانتصار فيها، وراح الغضب يتفجّر من كل منهما.

ثم... ثم بدأ شيء ما في داخلها يذوب، فتأوهت وتسللت أصابعها إلى عنقه تضمه إليها وقلبها يذوب شوقاً إليه.

ـ دراكو!

شعرت من خلال عناقه هذا أنه يدرك حاجتها إليه.

ـ رباه، كم أنا مشتاقة إليك.

انسلخت منها الكلمات كالدموع. لم يعد بمقدورها أن تكبحها، وكانت أكثر عجزاً من أن تكبح حبها له. لكن هذا لم يكن حباً. لقد قال لها دراكو ذلك. إنه حاجة جسدية فقط!

قالت: «أنا لك يا دراكو».

وارتجف جسدها كله. شعرت به يتردد، فقالت:

ـ أنت الذي أردت هذا. أنت الذي تريد مني أن أنجب ابنك.

كانت تعلم طبعاً أنها ستحتقر نفسها لاحقاً لاستعمالها هذا السلاح ولإذلالها نفسها. ولكن هل يهم أمر كهذا الآن؟.

حالياً تريده كثيراً جداً... أكثر مما تتصور.

هذه المرة كان الأمر مختلفاً. هذه المرة كانت تتوقع كل لمسة، كل شعور.

ثم، فجأة، شعرت بالغثيان مما كانت تفعل. شعرت بالذعر والاشمئزاز من افتقارها إلى التحكم بنفسها.

كان هذا حاجة جسدية كما ذكرت نفسها، وليس حباً.

ـ ما هذا؟.

شعرت بيدي دراكو تمسكان بجسدها المتصلّب. فقالت:

ـ لقد غيرت رأيي.

قال:

ـ هل مسموح لي أن أسأل لماذا؟.

وشعرت بالتوتر في كلماته الناعمة. فقالت: «لن تفهم».

كادت تصرخ في أيّ لحظة، وأشاحت بوجهها عنه.

فقال: «افهميني».

هل كان صوته أرق من العادة أم هي مخيّلتها التي صورت لها ذلك؟ كانت يداه تلمسان وجهها برقة وكأنه يريد أن يطمئنها ويخفف عنها. بإمكان اللمسة أن تقول أكثر بكثير مما تستطيعه الكلمات، فاللمسة لا تستطيع أن تكذب.

شعرت بنفسها منهكة، مهزومة مقهورة بمشاعرها.

وقالت: «لا أريد أن يكون الأمر بيننا مجرد علاقة حميمة يا

دراكو».

ساد صمت طويل، بينما أخذت تنتظر جوابه، وهي تسأل نفسها ثائرة عما جعلها تدلي بهذا الاعتراف.

أجاب: «لا؟ ماذا تريدين إذن؟».

كانت يداه الآن على كتفيها تمسكان بهما ثم تنحدران برقة نحو عنقها تبددان توترها بالتمسيد.

صدرت عنها شهقة خفيفة وهي تشعر برجفة ضئيلة من الأحاسيس تسري في شرايينها... وعاد النبض في أسفل عنقها يخفق بسرعة من جديد.

وضع دراكو إبهامه عليه يقيسه، ثم رفع يده إلى خدها...

سألها بصوت أجش ملؤه الرقة والإغراء:

ـ أخبريني يا إيموجين. ما الذي تريدينه مني؟.

كان جسدها كله يرتجف الآن... هذه الكلمة الصغيرة (مني) هي التي فعلت ذلك.

فقالت بضعف: «أريدك أنت، يا دراكو. أريدك».

ثم أخذت تعانقه بشغف وشوق.

أما هو فيريدها ويحتاج إليها، وكان من اللهفة إلى ذلك بحيث لم يتردد في أن يسير على الجمر لكي يصل إلي ها. ورؤية إيموجين لهذا منحها بهجة عنيفة صاعقة.

كانت تشعر بالسعادة لأنها الآن هي المسيطرة على دراكو.

عندما انتهى كل شيء واطمأنت إلى نوم دراكو. سمحت لنفسها بأن تبكي... أن تحزن لما لم يمنحها دراكو إياه... وهو حبه.

لا يهم ما قاله دراكو. ما حاول بمنطقه الذكوري أن يه مشاعرها لكي يبرّر عدم حبه لها. فهي تعلم أنها تحبه، وتشعر بمرارة لأنها لا تستطيع أن تتخلى عن حبه.

www.lamasatrewaiya.com
Faten

فقدت احساسها بالوقت وهي تحاول أن تحلل بالمنطق مشاعرها، أن تسجل عقلياً كل الأسباب التي تمنعها عن حبه. لكن قلبها لم يكن مستعداً للإصغاء.

ترددت إيموجين عندما أوقفت سيارتها أمام البيت، بجانب سيارة دراكو. بالأمس أخبرها أنه ينوي أن يعمل في المستقبل في المنزل قدر إمكانه.

فقد قال: «بسبب التكنولوجيا الحديثة، لم أعد بحاجة حقيقية إلى مركز في لندن. وبجانب ذلك...».

ثم ألقى نظرة ذات معنى على بطنها، فشعرت إيموجين بما أصبح الآن ذعراً مألوفاً مصحوباً بالشعور بالذنب يكتسح جسمها.

أحياناً كان يبدو وكأنه يعلم، إذ راح يتعمد توجيه الحديث بشكل لا يُبقي لها خياراً سوى أن تخبره بازدياد اقتناعها بأنها حامل بطفلهما.

لكنها لم تشأ أن تخبره. ليس الآن. وعلى كل حال، ليس لديها دليل رسمي على حملها.

مع أن بإمكانها أن تتأكد، لكنها لم تشأ أن تفعل هذا.

هل لأنها تريد أن تعاقبه؟ أم أن جزءاً منها يرجو أن تبقيه رغبته في أن يصبح أباً قريباً منها وتبعده عن ليزا؟.

بدأت تكره ما يجعلها حبها له تفعل. وتكره هذا النوع من النساء الذي أصبحت عليه. ما الذي حدث لمبادئها الأخلاقية؟ لكبريائها؟.

***

كان لديهم صيف ذهبي حقيقي. هذا الصباح ذهبت لتزور صديقة لها من أيام المدرسة.

فشربتا القهوة معاً، وتبادلتا أخبارهما الحديثة. كانت «لولو»

تساكن زميلاً لها منذ تخرجهما من الجامعة، وبدأت مؤخراً تبحث عن عمل وهذا يعني ذهابها إلى نيويورك.

قالت لإيموجين: «أنا أحسدك. فقد فعلت الصواب حين ذهبت تكتشفين العالم ثم عدت لكي تستقري. لا أستطيع احتمال التفكير في خسارة «ماك» لكنني أريد أن أفعل شيئاً بحياتي. أريد أن أرى شيئاً من العالم، أن أكتشفه وأن أكتشف مواهبي».

فسألتها بعطف: «ألن يذهب ماك معك؟».

فأجابتها لولو بأسف: «لا يمكنه ذلك. إنه يريد أن نتزوج، وننجب أطفالاً».

ولوت وجهها حينذاك: «لدي ثلاثة أخوة، وثلاث أخوات بالتبني، ما زالت أصغرهن طفلة رضيعة. والتفكير في طفل حالياً...».

لكان أن سألتها إيموجين بهدوء:

- هل تحبينه؟.

النظرة التي رمقتها بها لولو جواباً عن سؤالها، حدثتها بمجلدات.

ثم قالت بأسف:

- الحق معك. سيكون عليّ فقط أن أعوّد نفسي على فكرة تعدد الأسفار عبر البحار، ثم أبحث عن مربية جيدة.

افترقتا بعد أن اتفقتا على وضع موعد دائم محدد للاجتماع. وعادت إيموجين إلى البيت، مفكرة بحسنة أن تنشىء شبكة من الأصدقاء المساندين.

عندما دخلت من الباب الخلفي، دخل دراكو إلى المطبخ.

وكالعادة عندما تراه، تختلط عليها مشاعرها... كانت تحبه وتريده غير أنها في الوقت نفسه تخاف من التواجد معه بسبب الألم لعدم مبادلتها الحب.

www.hamasatrewaiya.com
Faten

قال وهو ينقل الأكياس التي أحضرها من السوبر ماركت ثم يفرغها من محتوياتها:

ـ فكرت في أن نتناول الغداء اليوم في المطعم.

فقالت مترددة: «ظننت... ظننتك تعمل؟».

كان دراكو يفتح باب الثلاجة، فتوقف وقال:

ـ نعم، ولكن بإمكاني أن آخذ فرصة ساعتين. ألم تقولي إنك تريدين أن تفعلي شيئاً للحديقة؟ هناك مركز جيد للبستنة على بعد عشرة أميال من هنا.

عضت إيموجين شفتها وأخذت تفكر في أنها فعلاً أرادت أن تعيد تصميم حديقتها من أجل الطفل.

لم يخرجا هي ودراكو معاً كأي زوجين منذ الأيام الأولى لجمع شملهما، أي منذ شهرين تقريباً.

عضت بشدة على شفتها السفلى. فقد أصبح يمضي مزيداً من الوقت في البيت.

وكان يقول: «هناك مطعم جيد قرب النهر يمكننا أن نتناول غداءنا فيه».

إذا رفضت الذهاب معه، فقد يطلب ذلك من ليزا.

جعلتها طعنة الغيرة المفزعة التي شعرت بها تحبس أنفاسها.

ماذا حدث؟ المفروض أن تكرهه وتحتقره لما يفعل... ولكنها أخذت تنظر إليه بعجز إذ كانت تشعر بعنف حبها يذيب مقاومتها.

سألته: «متى بإمكاننا الذهاب؟».

فأجاب وهو يضع من يده آخر مواد البقالة، ثم يتوجه نحوها:

ـ الآن، هل أنت مستعدة؟.

كانت يده تحت مرفقها، وهو يقودها عائدين إلى الباب. ما فائدة

أن تحرم نفسها من فرصة وجودها معه في الوقت الذي ترغب بذلك كثيراً؟.

اعترفت لنفسها بذلك وقد تملكتها رجفة صغيرة من البهجة، للمسته.

* * *

ـ لا. لا أريد بركة.

شعرت إيموجين بالنظرة الحادة التي رمقها بها دراكو عندما هزت رأسها رافضة رأي مصمم الحديقة بالنسبة إلى وضع بركة في وسط الساحة المخصصة لتكون حديقة.

فقال دراكو مقطباً: «لكنك شغوف بحديقة تحتوي على بركة يعيش فيها السمك».

فقالت: «نعم. هذا صحيح».

وشعرت بوجهها يلتهب عندما نظر إليها الرجلان، بانتظار أن تشرح سبب رفضها. فابتدأت تقول مترددة:

ـ إن وجود بركة قريبة من المنزل قد لا تكون فكرة جيدة. فالأولاد يغرقون بسهولة وسرعة ولو في شبر ماء.

أبدى المصمم الشاب موافقته على رأيها:

ـ طبعاً. كان علي أن أدرك ذلك. هناك بديل آمن للأطفال يمكننا أن نناقشه...

كانت واعية وهي تتحدث إليه، لصمت دراكو وتركيز نظراته رغم أنه انتظر حتى شكرت المصمم على رأيه وابتعدت عن مرمى سمعه، ليقترب منها ويهمس في أذنها:

ـ هل هناك ما تريدين أن تخبريني به يا إيموجين؟.

فقالت: «لا».

أدركت أن صوتها كان مضطرباً وفيه نبرة دفاع عن النفس:

www.hamsatrewaiya.com Faten

ـ عندما يكون هناك شيء... أي شيء... فسأخبرك... نعم سأفعل.

فقال بنعومة بالغة: «أنا واثق من أنك ستفعلين. ومع ذلك لا سبيل لأن تلزمي نفسك بالخضوع لرغباتي يا إيموجين؟».

ألقت عليه نظرة تغلي غضباً. كيف يجرؤ على أن يعذبها بهذا الشكل فيسخر منها لضعفها نحوه، ولرغبتها فيه؟

تأخر فيما بعد في المجيء إلى النوم. وفي الواقع، عندما جاء أخيراً، كانت قد استغرقت في نوم مرهق.

وأدركت لماذا طبعاً. إنه لا يريد أن ينام معها لأن من يريدها حقاً هي ليزا. كيف بإمكانه أن يكون بهذه القسوة؟.

غداؤهما الذي تبعه تمشيهما على ضفاف النهر، جعلها تشعر بتعب غير عادي. لقد لاحظت في الأيام الأخيرة ازدياداً في التعب والإعياء خاصة عند العصر...

وكان من حسن الحظ أن الجو حار، لأن ذلك يعني أن بإمكانها الاستلقاء في الحديقة على مقعد وتغفو مدعية أنها تأخذ حماماً شمسياً.

والآن، وهما يعودان إلى سيارة دراكو، شعرت بأن خطواتها تتباطأ. ورغم محاولاتها المذعورة لم تستطع أن تخنق تثاؤبها الناعس.

رأى دراكو هذا بالتأكيد، فتوقف لينظر إليها مقطباً ويسألها:

ـ متعبة؟.

قالت تتجنب الإجابة: «عندما تأتي إلى السرير متأخراً تزعج منامي».

فقال: «هل تلمحين بأن عليّ المجيء باكراً؟».

فأنكرت على الفور: «لا. ولماذا أريدك أن تأتي مبكراً؟ ليس أنا من

فرض هذا الزوج عليك، يا دراكو».

وقبل أن يجيب، أسرعت أمامه، ثم تجاهلته عندما أدركها عند السيارة.

استيقظت إيموجين مجفلة. كانت قد ذهبت إلى السرير بعد عودتهما من الحديقة العامة شاكية من صداع خفيف. بعد أن استحمت وغيرت ملابسها، اتجهت، مرهقة، إلى السلم. عليها أن تضع حداً لشكوكها، ولا يعني هذا أنها تشك في حملها، ولكن عندما تصبح الأمور رسمية، سيكون لزاماً عليها أن تخبر دراكو.

عادة يكون الزوجان متشوقين إلى استقبال الطفل الأول، وهو حدث يقرّبهما. أما في حالتهما فسيكون الأمر معكوساً.

في منتصف السلم، ثمة فسحة صغيرة فيها نافذة مستطيلة تطل على طريق المنزل... كان زجاجها الملون يبعث البهجة في نفس إيموجين. وقفت بشكل آلي لتنظر من خلاله ثم جمدت مكانها عندما رأت قوام زوجة أبيها المألوف وهي تنزل من سيارتها متجة إلى الباب الأمامي.

لم تزر ليزا البيت منذ آخر مواجهة بينهما.

تراجعت إيموجين غريزياً إلى الخلف عندما أخذت ليزا ترن جرس الباب. سمعت باب المكتب يُفتح، فحبست أنفاسها وهي تصغي إلى خطوات دراكو القوية، شاعرة بلفحة من هواء المساء تهب وهو يفتح الباب.

قال بصوت لا تعبير فيه ولكن بطريقة أنشبت أظافر مسمومة من العذاب في قلب إيموجين: «ليزا».

منذ زيارة ليزا السابقة إلى البيت، لم تواجه إيموجين الدور الذي كانت زوجة أبيها تلعبه وتشتبه في أنها ما زالت مستمرة في لعبه في حياة دراكو.

www.hamsatrewaiya.com
Faten

كانت تعلم بالضبط لماذا لا يريد دراكو حبها، ولماذا كان مصراً على أن كل ما حصل بينهما ليس أكثر من علاقة زوجية. . .

فهو يحتفظ بحبه لليزا فقط. ومع أنها تعرف ذلك، ما زالت تريده وتتجاوب معه، سامحة لنفسها بغباء أن تعتقد، أنها تعني له شيئاً.

شعرت بنفسها ترتجف وترتعش. وفي أعماقها راح الألم والعذاب يدمّرانها.

سمعت ليزا تقول برقة مغرية:

ـ كنت أعلم أنك تتوقع حضوري.

ثم انغلق باب المكتب، جامعاً إياهما في عالمهما الخاص المنعزل.

إذا أغمضت عينيها، فستراهما معاً. . .

أترى دراكو يعانقها الآن ويعبّر لها عن حبه؟.

وأطلقت إيموجين زفرة طويلة معذبة.

أرادت أن تصرخ، أن تبكي، أن تمزق لحمها بأظافرها بجنون لخيانتهما لها. . . أن تنزع من بين ضلوعها قلبها الغادر هذا وتختم على مشاعرها وتكويها فلا تشعر بشيء مرة أخرى. ولكن عليها أولاً أن تهرب وتبتعد قدر إمكانها عن دراكو كما فعلت من قبل.

لكنها لم تعد مجرد فتاة صغيرة مسؤولة عن نفسها فقط، بل هي الآن امرأة مسؤولة. ووضعت يدها على بطنها لحظة قصيرة. وانحدرت دمعة واحدة على خدها، ثم رفعت رأسها. إنها زوجة دراكو، وقد تزوجها برغبته الكاملة.

وهي حامل بطفله. . . طفلهما. وفي هذا المنزل ذكريات لها عزيزة غالية لا يُحصى عددها من حياتها مع والديها.

وهي تنوي أن يستمتع طفلها بأمن وحماية والديه معاً، مهما كلفها ذلك شخصياً.

وإذا كان هذا يعني مواجهة ليزا، فستثبت في مكانها وتطالب بحقها بصفتها زوجة دراكو. هذا ما ستقوم به تماماً.

قد تكون ليزا من تملك قلبه، لكنها هي التي ستنجب ولده.

* * *

www.hamasatrewaiya.com
Faten

٨ ـ أشياء لم تُقل . . .

ـ أنت هادئة جداً. هل هناك شيء؟ .

ـ كنت أفكر في الماضي وأبي وليزا.

كانت قد زارت طبيبها نهاراً فتأكدت من حملها.

وقالت: «ليزا لم تحب أبي قط. لقد تزوجته من أجل ماله فقط».

لا بد أن حملها، كما قررت إيموجين، هو الذي جعلها عاطفية بهذا الشكل.

قال دراكو: «كانت ليزا أصغر من أبيك بكثير، يا إيموجين».

فانفجرت به: «أنت في صفها طبعاً، أليس كذلك؟».

وكان على وشك أن يرفع كوب العصير إلى شفتيه، لكنه وضعه من يده، وقطب جبينه ثم قال بحزم:

ـ ليس لدي فكرة عن سبب هذا كله، يا إيموجين. أنت تعلمين . . .

قاطعته بلهجة لاذعة: «الذي أعلمه أنني رأيت ليزا هنا في هذا المنزل ومع ذلك لم تنطق بكلمة عن زيارتها».

ازداد تقطيب دراكو واحتد صوته:

ـ هل رأيتها؟ .

أجابت: «نعم. ما الذي تفعله يا دراكو؟ تتصل بها هاتفياً وتخبرها

بأن الطريق آمن لقدومها إلى هنا؟ وأنني نائمة؟ وأنك تعبت مني . . . تعبت من معاشرة امرأة لا تريدها ولا تحبها؟ امرأة غيرها هي؟ حسناً، هذا بيتي يا دراكو، وطالما هو كذلك فلا سبيل إلى أن أستضيف عشيقتك فيه . . .».

سكتت إيموجين فجأة وتنفست بعمق لتهدىء صوتها، ولكن قبل أن تتابع حديثها، كان يسألها بإيجاز:

ـ ما هذا الذي تتحدثين عنه بحق الله . . . ؟ .

لم تستطع أن تصدق غيظه هذا، وجعلها هذا خرساء من الغضب. وعندما استطاعت أن تتكلم، هبت في وجهه قائلة:

ـ أنت تعرف ما أتحدث عنه. أنا أتحدث عن علاقتك بليزا. العلاقة التي كانت بينكما وهي زوجة لأبي، واستمرت بينكما رغم أن كلاً منكما تزوج شخصاً آخر.

رأت فكه يتوتر. ألم يعجبه ما تقول؟.

قال ذاهلاً: «أتظنين أني على علاقة غرامية بليزا؟».

لا بد أنه تعب كثيراً في اصطناع مظهر عدم التصديق والذهول هذا. وفكرت إيموجين في أن هذا يظهر كم هو مهم بالنسبة إليه أن تبقى علاقته بليزا سراً.

فقالت بهدوء: «لا يا دراكو. أنا لا أظن أنك على علاقة غرامية بزوجة أبي، بل متأكدة من ذلك. لأن ليزا أخبرتني بذلك بنفسها، وذلك صباح يوم زفافنا».

ساد صمت طويل متوتر قبل أن يسألها دراكو عابساً:

ـ هل هذا هو سبب هربك؟

فقالت بمرارة: «وما رأيك؟».

وهزت رأسها تقول قبل أن يتابع حديثه:

ـ نعم يا دراكو. وأنا غير مستعدة للحديث عن هذا أكثر من ذلك.

www.hamasatrewaiya.com
Faten

ما مضى هو الماضي. وأنا مهتمة الآن بالمستقبل الذي فرضته أنت عليّ وعليك. أريد أن أوضح لك بأنني لن أحتمل وجود ليزا هنا في هذا البيت طالما أعيش فيه!.

وشعرت بالذهول لتمالكها لنفسها. إنها ستخبره الآن عن الطفل، طفلهما. وستتوسل إليه... لا بل ستطلب منه أن يفكر في تأثير علاقته بليزا على هذا الطفل الذي يدعي أنه متلهف إلى الحصول عليه! ولكن قبل أن تقول شيئاً، رن جرس الهاتف.

أشاح دراكو عنها بوجهه يتناول السماعة، وبدا واضحاً تماماً أنه لا يريد منها أن تسمع شيئاً من المكالمة. هل لأنها من ليزا؟ كبحت رغبة غريزية في أن تخطف السماعة منه وتقطع الاتصال بينهما. لكنها، بدلاً من ذلك، وقفت وأسرعت إلى الردهة.

أين شجاعتها الآن؟ أخذت تعنف نفسها وهي تجاهد ضد مشاعرها، لماذا لم تحاول أن تتحدى دراكو؟.

ألأنها خائفة جداً من أن تخسره؟.

لن تسمح لنفسها بأن تكون الزوجة المخدوعة الحزينة لرجلٍ يعطي حبه الحقيقي لامرأة أخرى. وإذا تجاهل دراكو هذه المطالب التي ستقدمها إليه، فما هي المعركة التي ستخطط لها؟.

وشعرت إيموجين بنفسها ترتجف. شعورها السابق بالانتعاش قد تبدد، تاركاً إياها خائفة، ضعيفة ليس لأجلها بل لأجل طفلها الذي يستحق حتماً أن يكون محبوباً من أبويه.

- إيموجين.

جمدت عندما خرج دراكو إلى الردهة وناداها قائلاً:

- لديّ عمل مستعجل في لندن، ولكن عندما أعود، هناك أشياء علينا، أنا وأنت، أن نتحدث عنها... هناك أفكار مغلوطة معيّنة يجب تصحيحها.

فقالت: «فهمت. متى ستعود؟».

قال بحذر: «لست واثقاً. قد اضطر إلى قضاء الليل هناك».

قد يضطر؟ ومنعت نفسها من الضحك بمرارة وصوت عال.

كان النظر إلى وجهه كافياً ليخبرها عن شدة غضبه. لكن كان لدى إيموجين ما يشغلها أكثر بكثير من غضب دراكو، مثل مصدر تلك المكالمة الهاتفية التي حرص على أن لا تسمعها. لا بد أنها من ليزا! وهو الآن ذاهب إلى لندن ليراها ويمضي الليلة معها من دون شك.

كرهت نفسها لأنها لا تمتلك الشجاعة لتتحداه. هل هذا هو تأثير الحب في الإنسان؟ أهكذا يجعل الحب المرء ضعيفاً؟ خائفاً؟ عدم قدرتها على أن تعبّر عن شكوكها جعلتها تشعر بالمذلة والخزي.

الآن، أكثر من أيّ وقت آخر، هو الوقت الذي عليها أن تلجأ فيه إلى دراكو للحماية والمساندة.

ولكن يبدو أن أمرها لا يهمه!.

منظر وجهه العابس عندما نظر إلى مرآة السيارة، قوّى ما شعر به دراكو. لقد أذهله أن تتهمه إيموجين بوجود علاقة غرامية بينه وبين ليزا. لعل ليزا تظن نفسها جميلة مرغوبة لكنها بالنسبة إلى دراكو امرأة قبيحة، قبيحة النفس باللؤم، والجشع والأنانية. أحسّ دوماً أنّ والد إيموجين قد ندم على زواجه بها، لكنّ شهامته كانت تمنعه من أن يقول هذا. وتوتر فمه لتذكره ما اتهمته به إيموجين. هل تظنه إيموجين قادراً على أن يكون بهذا الشكل من عدم الوفاء؟.

صباح يوم زفافهما عندما سألته إيموجين إن كان في حياته امرأة أخرى، ظنها تتحدث عن نفسها. الذعر والاستنكار اللذان ظهرا على وجهها وفي صوتها عندما جاء رده ايجاباً، جعلاه يشتم بصوت خافت لما فعله بها. ظن حينذاك أن افتتان الصبا الذي كانت تكنه له قد حطمه علمها بحقيقة حبه غير المرغوب فيه. ذلك الحب الذي كان يشعره دوماً

www.hanasatrewaiya.com
Faten

بالذنب معتقداً بأنها أصغر من أن يرهقها بعبئه. وعندما انطلقت هاربة منه، قوي اعتقاده ذاك. أظلمت عيناه لألم الذكرى. كان على وشك أن ينطلق خلفها عندما انهار هنري، وبسبب الذعر الذي تملك الجميع اضطر إلى تسلم مسؤوليته.

وعندما أصبح حراً في اللحاق بإيموجين، كان الأوان قد فات لأنها تركت البلاد.

كلف من يقتفي أثرها، طبعاً، فقد انشغل باله عليها بقدر ما تعذّب لفقدانها.

وبقي على معرفة بمكانها منذ ذلك الحين... لأجل مصلحتها ووفاء لعهده لأبيها، ولأجل مصلحة إيموجين يقوم برحلته هذه إلى لندن. مع أنه من المفترض فيه أن يكون معها ليفسر لها الأمور وليطمئنها إلى أن ليزا هي آخر امرأة قد يهتم بها. فلن يكون في قلبه سوى امرأة واحدة يحبها، وتلك المرأة هي إيموجين نفسها.

على كل حال، تلك المكالمة جاءت من الوكالة نفسها التي كلفها أن تقتفي أثر إيموجين أثناء غيابها، وقد اتصلوا به ليبلغوه بصفة مستعجلة أنهم سيغلقون الملجأ.

يبدو أن صاحب مبنى الملجأ والأرض التي يقوم عليها يريد أن يبيع الأرض، وهو يحاول إخافة الراهبات لكي يسلّمنه الأملاك.

ولأنه يدرك تماماً ما يعني هذا لإيموجين، سارع ليقوم بكل ما وسعه ليساعد في إنقاذ الملجأ، حتى ولو اضطره الأمر إلى البحث عن مكان آخر وشرائه لإقامة الملجأ عليه.

* * *

وقفت إيموجين في مدخل الردهة الخالية قانطة. لقد تركها دراكو. شعرت بضعف، وانهزام وخوف ووحشة. وفارقها ما كانت تشعر به من شجاعة وثقة بالنفس. إنها متلهفة للتواجد مع أناس

يحبونها، أناس تشعر معهم بالأمان. فجأة، شعرت بالشوق واللهفة إلى ريو دي جانيرو، وإلى الراهبات وإلى الناس الذين عرفتهم هناك.

ما الذي سيحدث لها؟ بل ما الذي سيحدث للطفل؟.

وأدركت إيموجين بالضبط ما عليها أن تفعل!.

هذه المرة لن يكون هناك تعجل، ولا هرب أو تنوط. وإنما قبول هادىء بارد بما هو مفروض أن يكون.

حزمت أمتعتها بعناية واتصلت بمطار «هيثرو» لتحجز مقعداً على أول رحلة إلى ريو دي جانيرو.

الطائرة ستغادر قبل منتصف الليل بقليل، وهذا يعني أن لديها وقتاً كافياً لتكون هناك.

منتصف الليل! لا شك أن دراكو سيكون حينذاك مع ليزا في شقته في لندن.

هرعت إيموجين إلى الحمام ويدها على معدتها التي كانت تغلي غثياناً. وقالت تواسي الجنين في بطنها:

ـ وأنا أيضاً أشعر بالغثيان كلما فكرت فيها. إنه لا يستحقك يا حبيبي مهما كانت رغبته فيك. سآخذك إلى مكان سنكون فيه سعداء معاً من دونه.

حتى وهي تهمس بهذه الكلمات للجنين الذي ينمو في أحشائها، كانت تسمع هاتفاً خفياً لم تستطع أن تسكته تماماً وهو يعترض على ما تقوله. ويذكرها بأن دراكو سيحب ابنه حتى لو لم يكن يحبها.

وعندما طرأت هذه الفكرة على بالها، شعرت بالذنب لأنه ليس لديها الحق في أن تقرر فصل ذلك الولد عن أبيه إلى الأبد.

ولكنها لم تشأ أن تصغي هذا الشعور بالذنب.

وصلت سيارة الأجرة التي طلبتها. قررت أن تسافر بما قلّ من الأمتعة، وهذا ما فعلته.

www.hamsatreyarya.com
Faten

لمعت دمعة صغيرة في عينيها وهي تغلق الباب الخارجي خلفها. وصعدت إلى السيارة رافضة أن تنظر إلى الخلف.

***

عبس دراكو وهو يفرك عينيه المتعبتين بعد أن وضع سماعة الهاتف وفتح جهاز الكمبيوتر على مكتبه.

لقد استطاع أن يتجنب أزمة مع الملجأ... استطاع دراكو أن يقنع صاحب الملك بأن يبيعه الأرض والملجأ، وذلك بسعر ضخم للغاية طبعاً. لكنه لم يندم لأنه دفع هذا المبلغ فهو يعلم أن ذلك سيسعد إيموجين كثيراً.

نظر إلى ساعته. المفروض أن إيموجين مستيقظة. وفجأة، شعر بحاجة ماسة إلى سماع صوتها. لقد كره أن يضطر إلى تركها دون إنهاء الحديث عن سوء التفاهم السخيف المتعلق بليزا. لكنه شعر حينذاك بأنه بحاجة إلى وقت يشرح فيه كل هذا بشكل صحيح. وعلى كل حال، رغبته حالياً في التحدث إليها تغلبت على كل شيء آخر. يمكنه على الأقل، أن يخبرها عن مبلغ حبه لها.

قطب دراكو جبينه. لقد حاول ثلاث مرات أن يتصل بإيموجين دون نجاح. يمكن طبعاً أن تكون نائمة، أو لعلها ترفض أن تجيب على الهاتف. لكن غريزيه حدثته بأن سبب صمتها أكثر أهمية.

ومن دون أن يضيع الوقت في تحليل شعوره، تناول مفاتيح سيارته واتجه إلى الباب.

***

كان مطار «هيثرو» مزدحماً. وكان أمام إيموجين وقت كاف قبل أن تتقدم لتسجيل اسمها.

ولكي تصرف ذهنها عن الألم الذي شعرت به بسبب تصرفها هذا، حاولت أن تضع خططاً عن الأماكن التي ستقصدها عندما تصل.

www.hamasatrewaiya.com
Faten

أولاً، عليها أن تذهب إلى فندق، فلا بد أن هناك من يحتل شقتها القديمة. ولكن حتى لو أن هذا لم يحصل، فعليها أن تبحث عن مكان ملائم لتعيش فيه مع طفلها الذي سيولد ومن الأفضل أن يكون منزلاً صغيراً مع حديقة.

لا شك أن عليها أن تسحب ما يكفي من دخلها في الشركة لكي تعيل نفسها والطفل. وقد تعود أيضاً إلى التعليم، بدلاً من العمل بدوام كامل في الملجأ.

سيكون هناك فائدة واحدة من العودة إلى ريو دي جانيرو، وهي أن الطفل أو الطفلة سيتعلم لغتين.

ولكن بدل أن يجعلها ذلك تبتسم، اغرورقت عيناها بدموع ساخنة.

حان الوقت تقريباً لتسجل اسمها. تناولت حقيبتها، وما لبثت أن شعرت بحاجة إلى الذهاب إلى استراحة السيدات.

كانت هناك فتاة صغيرة تركت الاستراحة في نفس الوقت الذي تركت فيه إيموجين مكانها... كانت شقراء ترتدي ثوباً من الكتان.

بدت وكأنها وحدها، فتابعتها إيموجين بنظراتها لحمايتها.

وعندما وصلت إلى الحشد، ركضت الفتاة الصغيرة إلى رجل كان واقفاً على بعد عدة أمتار.

استطاعت إيموجين أن تشعر بالحب في صوت الصغيرة وهي تهتف «بابا»، واستطاعت أن ترى أيضاً الحب في عيني الرجل وهو يحتضن الفتاة بشدة، ويقول:

ـ هيا بنا، من الأفضل أن أضعك على الطائرة، فإذا فاتتك لن تسمح لك أمك أبداً بالمجيء لرؤيتي مرة أخرى.

استطاعت إيموجين أن تسمع الألم والغضب في لهجته فتسمرت في مكانها تنظر إليهما بقلق.

كانت الفتاة الصغيرة تقول:

ـ لا أريد أن أعود. أريد أن أبقى معك هنا.

واستطاعت إيموجين أن تسمع البكاء في صوتها وترى الدموع في عيني أبيها وهو يهز رأسه ويبدأ بحملها إلى بوابة الطائرة.

شعرت إيموجين وكأنما أصابتها ضربة مميتة. يوماً ما سيصبح طفلها كتلك الفتاة الصغيرة. وعلى مسافة أقل من ستة أمتار من حيث تقف، رأت أسرة صغيرة أخرى... مؤلفة من امرأة، ورجل وولدين.. ولدان مع أبوين يحبانهما. أتراها حقاً تريد لابنها أقل من هذا؟.

إذا عادت الآن إلى ريو دي جانيرو، وربّت ابنها وحدها، مخفية أمره عن أبيه دراكو، ومخفية أمر دراكو عنه، فماذا سيظن ابنها بها في النهاية؟.

هل سيتفهم ابنها طفلها الأمر أم سيلومها؟ أو، وهذا أسوأ في عيني إيموجين، هل سيتألم بصمت، وهو ينشوق إلى أن يكون له أب؟.

فكرت في علاقتها بأبيها... خصوصاً مع أبيها. لا، لن تحرم طفلها من حقه في أن يمتلك ذلك الرباط السحري الرائع، وأن يعرف حب الأبوة الذي عرفته هي. إن دراكو سيحب ابنهما... ابنه. وإيموجين تعلم ذلك بالغريزة. سارت خطوة أو اثنتين ببطء، في البداية، ثم أخذت تسرع حتى أخذت تركض تقريباً.

ولم تقف إلا عندما شمت رائحة محركات سيارات الأجرة خارج مبنى المطار.

* * *

كان طريق دراكو من لندن إلى البيت يستغرق ساعتين عادة، وأقل من ذلك في الليل، لكن الأمور تعرقلت الليلة بالذات.

فقد سارت أمامه شاحنة تنقل شحنة كبيرة خطرة من المواد الكيماوية، مما يعني أنه لن يصل إلى بيته قبل ثلاث ساعات.

وعندما وصل إلى بيته رآه غارقاً في الظلام وإيموجين قد رحلت، رحلت من دون تفسير.

كانت فرشاة شعرها وزجاجة العطر التي اعتادت استعمالها على منضدة الزينة، ولأن زجاجة العطر سقطت لسبب ما قبل الآن، كان دراكو يشم رائحة إيموجين حوله.

أغمض عينيه، وقد غص بالمشاعر، وتملكه العذاب والخوف. ما زال يرى النظرة في عينيها وهي تتهمه بحب ليزا. يا إلهي، كيف يمكن لامرأة أن تكون عمياء بهذا الشكل؟ وكيف يمكن لرجل أن يكون غبياً إلى هذا الحد؟.

لماذا؟ لماذا لم يقف ليخبرها بالحقيقة؟ أي سبب جعله يذهب بذلك الشكل تاركاً إياها وحيدة ضعيفة؟.

كانت تعتقد أنه مرتكب أسوأ أنواع الخيانة لها ولأبيها. وكانت هناك مواضيع أخرى عليه أن يبررها مثل الطريقة التي عاملها بها والأشياء التي قالها لها... والأشياء التي لم يقلها.

* * *

www.hamsatrewaya.com
Faten

٩ ـ هل الحب أعمى أم أحمق؟

شعرت إيموجين بقلبها يخفق عندما وقفت بها السيارة أمام البيت. كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل والأنوار مضاءة في المنزل كله وسيارة دراكو واقفة في الخارج.

لقد عاد. لم يمض الليل إذن مع ليزا!.

عندما خرجت من سيارة الأجرة، أخذت تقاوم الشعور بالدوار الذي تملكها. وكانت قد اعتادت الآن على هذا الدوار الذي ينتابها أحياناً، خصوصاً عندما تستيقظ في الصباح. لكنها، على الأقل، لم تكن تشعر بالغثيان.

دفعت أجرة السيارة وحاولت أن تتمسك بشجاعتها ثم همست تقول وهي تضع يدها على بطنها:

ـ أنت طفل طيب جداً، طفل جيد جداً. وأمك وأبوك سيحبانك كثيراً.

أتراها كانت حمقاء لعودتها؟ من وجهة نظرها، ربما.. اعترفت بذلك وهي تفتح الباب الأمامي. ولكن إذا ظن دراكو أن بإمكانه أن يجعل ليزا تحل مكانها في حياة طفلها، فستحرص على أن تفهمه العكس.

انفتح باب المكتب وخرج منه دراكو. بدا وكأنه مرّ بأسوأ صدمة

دمّرت روحه. دراكو، الذي لم تره قط من قبل غير مسيطر على نفسه. كان منظره مشعثاً، وذقنه بحاجة إلى حلاقة. أما عيناه فكانتا أشبه ببركتي دم.

رفضت أن تذعن للشوق الذي كان يوهن جسدها، وهي تذكّر نفسها بالقرار الذي اتخذته لتوها، فانتصبت في وقفتها، ونظرت إليه بنفور غاضب قبل أن تسأله بلهجة الاتهام:

ـ لا حاجة لأن أسألك إلى أين ذهبت في لندن؟.

كان دراكو ينظر إليها بعينين جامدتين مصعوقتين أشبه بعيني رجل رأى شبحاً منه برجل عاد إلى البيت من مقابلة غرامية مع الحبيب.

راح يقول: «إيموجين! عدت. آه، الحمد لله! الحمد لله!».

كان صوته متهدجاً متحشرجاً، والنظرة التي بدت في عينيه وهو يتقدم نحوها بخطوات واسعة جعلت قلبها فجأة يخفق بعنف، فتراجعت مبتعدة عنه بشكل غريزي.

قالت: «أنا متعبة يا دراكو. أريد أن أذهب إلى السرير».

فقال ملحاً: «بل يجب أن نتحدث».

لكن إيموجين هزت رأسها. كانت تعلم أنها تكاد تنفجر عاطفياً. فإذا أخذا يتحدثان الآن ويتجادلان، فلن تكون لديها القوة لقول الأشياء التي تريد أن تقولها.

قالت رافضة بحدة: «لا. ليس الآن. ليس الآن يا دراكو غداً».

أراد أن يتوسل إليها كي تصغي إليه، ليعرف إلى أين ذهبت ولماذا عادت.. أراد أن يخبرها كم يحبها ويريدها... إنه مستعد للتضرع إليها لئلا تتركه بعد الآن أبداً. ولأنه رأى كم تبدو ضعيفة لم يقل شيئاً بل أراد أن يساعدها، وأن يضع رغبتها فوق رغبته.

فقال بالرغم عنه: «حسناً جداً». ولكن سأقفل كل الأبواب وأخبىء المفاتيح، يا إيموجين. وبهذا لن يكون هناك أي وسيلة للهرب. أريد

www.hamsatrewaiya.com
Faten

منك أن تعديني بذلك».

قالت متعبة وهي تتجه إلى السرير، داعية الله ألا يحاول دراكو اللحاق بها:

ـ أعدك بذلك.

وعندما أغلقت أخيراً باب غرفة نومها القديمة، كان جزء منها يشعر بخيبة الأمل لأنه لم يلحق بها. لأنه لم يأخذها بين ذراعيه و... وماذا؟.

واجهي الحقائق... حدثت نفسها بسأم وهي تستعد للنوم... اكبري يا إيموجين فهو لا يحبك... إنه يحب ليزا.

* * *

سألت إيموجين دراكو: «أيمكنك أن تجيب عن الهاتف؟ سأضع الإبريق على النار».

وصلت إيموجين لتوّها إلى المطبخ، بعد أن تأخرت في النوم، لتجد دراكو قد سبقها إليه.

إنهما بحاجة إلى التفاهم. وأهم ما هما بحاجة إلى الكلام عنه، هو حقيقة أنها حامل بطفله... بطفلهما!.

هل لديها القوة على أن تركز اهتمامها على هذا الأمر البالغ الأهمية فتنتزع من دراكو إقراراً بأن طفلهما سيأتي في المرتبة الأولى...

عندما رد على الهاتف، أخذ دراكو ينظر إلى إيموجين بنهم، بجوع وكأنه لن يشبع من رؤيتها... ما أشد حبه لها!.

ما الذي حدث؟ لماذا عادت؟ ولأنه كان غارقاً في أفكاره مرت عليه ثوانٍ عدة قبل أن يستوعب ما كان مخاطبه يقوله.

فقال بهدوء، وما زالت نظراته مسمرة على إيموجين التي أشاحت بنظرها عن إبريق الماء لتنظر إليه:

ـ نعم، سأبلغها بذلك.

كان ينظر إليها وكأنه لم يرها من قبل قط... وكأنه كان... وشعرت بالدوار لاستحالة وعدم إمكانية ما تراه في عينيه فوقفت جامدة.

وبصمت، أعاد دراكو السماعة إلى مكانها.

فسألته مترددة: «ماذا هناك؟».

فقال بهدوء: «إنه طبيب العيادة. يريدون أن يخبروك أنهم حددوا موعداً لك في المستشفى لإجراء فحوصات ما قبل الولادة. أنت حامل بطفلي لكنك لم تخبريني!».

ولأول مرة في حياتها، حصل لها ما كانت تظن أنه يحصل للنساء في الروايات فقط... أغمي عليها.

* * *

عندما استفاقت، وجدت نفسها على الأريكة في المكتب، ودراكو منحنياً فوقها.

في الثواني القليلة التي استوعب فيها أن إيموجين حامل، انتقل من حالة الأمل إلى حالة اليأس لأنه عندئذٍ أدرك السبب الذي جعلها تقرر ألا تتركه. كان لدى إيموجين أخلاق أبيها القديمة الطراز، فهي لن تستطيع أن تتركه وتأخذ معها الطفل الذي اتفق معها على إنجابه. كان يعلم ذلك طوال الوقت، ويعتقد أيضاً أنه سيكون من المستحيل عليها أن تهجر طفلها، وهذا ما سيضطرها إلى البقاء معه.

لكن إدراكه بأنها هنا لأنها حامل بابنه وليس لأنها تريد ذلك، ملأ فمه مرارة.

وارتجفت إيموجين قليلاً، واعية بتوتر أن دراكو ينظر إليها وفي عينيه نظرة كئيبة تقرب من اليأس. هل غيّر رأيه؟ ألم يعد يريد طفلاً منها؟.

قال: «أنت حامل؟».

www.hamsatrewaiya.com

وكان صوته فاتراً خالياً من أي معنى يمكنها أن تفهمه، فأجابت:

ـ نعم.

دعت الله ألا يجعلها تبكي. ولكن، ليس بهذا الشكل يُقال خبر كهذا، أو يُستقبل. ولكن ماذا كانت تتوقع...؟.

هل توقعت نفخ أبواق وقصائد فرح وأهازيج؟ أم توقعت أن يحملها دراكو بين ذراعيه وفي عينيه كل الشغف؟.

ربما هذا أمر غير واقعي لكن إظهار بعض السرور ما كان ليضرّه، إن لم يكن لأجلها فمن أجل الطفل.

سألها: «ألهذا لم ترحلي؟ ألهذا عدت؟».

فأجابت وهي تنزل عن الأريكة:

ـ نعم.

لا سبيل للبدء بالحديث معه وهي مستلقية على الأريكة فيما هو واقف أمامها.

أرادت أن تضمن من الآن فصاعداً أن يكون أي صراع بينهما صراع الند للند.

قالت: «أردت أن أتركك يا دراكو، لأنك على علاقة غرامية مع... مع ليزا».

سكتت وقد ارتجف صوتها ثم عادت تتابع:

ـ لكني رأيت فتاة صغيرة مع أبيها... وفجأة لم أعد أستطيع...

أشاحت بوجهها إنما ليس قبل أن يلمح دراكو الدموع في عينيها.

ـ إيموجين!.

أجفلت حين أمسك يديها بيديه، رافضاً أن يدعها تذهب، رغم محاولتها ذلك باستماتة. وكان ابهامه يدعك باطن معصمها بشكل بعث البهجة في كيانها.

وقال: «لا أدري من أين جاءتك فكرة أني على علاقة مع ليزا،

لكنني أؤكد لك أن هذا غير صحيح».

أثار غيظها أن يكذب عليها، فقالت تتحداه:

ـ لماذا إذن ذهبت إلى لندن الليلة الماضية؟.

هز رأسه وهو يشتم في سره. لم يشأ أن يخبرها بما يجري إلا بعد أن تنتهي الأمور كلها قانونياً.

قال: «آسف لأنني لا أستطيع أن أخبرك بهذا، يا إيموجين، ولكن بإمكاني أن أقسم أن ذلك لاعلاقة له بليزا».

لوت إيموجين شفتها ساخرة وهي تبتعد عنه، قائلة:

ـ لا أصدقك. لقد قالت لي ليزا صباح يوم زواجنا إنك تحبها. لقد تحدتني بأن أسألك عن ذلك، ومنذ ذلك الحين وهي تثبت لي علاقتها بك. لا أدري من الذي احتقره منكما أكثر. وأظنه أنت لأنني لم أحب ليزا قط، أما أنت...

وسكتت، ثم ابتلعت ريقها. وماذا يهم لو أنها اعترفت له الآن بشعورها السابق نحوه، فقد كانت واثقة من أنه يعلم بافتتانها الأحمق المراهق به ذاك.

ونظرت بحزم في عينيه، ثم قالت بقدر ما أمكنها من الهدوء:

ـ كنت أحبك كثيراً، يا دراكو. كنت مثلي الأعلى. وثقت بك و...

وسكتت وقد أفزعها أن تدرك مبلغ ما أصبحت عليه من تأثر وانفعال:

ـ بعد فقدي أبوي، كان اكتشافي لمدى أخطائي في نظرتي تلك إليك، أعنف صدمة تلقيتها في حياتي وأكثرها إيلاماً.

لم تكن صادقة تماماً معه. اعترفت بهذا وهي تحوّل نظراتها عنه. لقد أحزنها موت أمها وأبيها، ولكن بعد أن هدأت صدمتها الفورية سبب فقدانهما، بقيت تتعزى بمعرفتها بأنهما كانا يحبانها. لكن خيانة

www.hamsatrewaiya.com
Faten

دراكو جعلتها من دون تعزية على الإطلاق!.

أخذ دراكو ينظر إلى رأسها المنحني ثوانٍ عدة وهو يقاوم رغبة تدفعه إلى أخذها بين ذراعيه وإبقائها هناك إلى أن يقنعها بمدى خطئها.

سألها بهدوء: «هل تظنين حقاً أنني كنت سأخون ثقة أبيك بي بهذا الشكل؟».

أجابت بجمود: «عندما يتدخل الحب، لا يعود لأي مشاعر أخرى كالوفاء أهمية».

كلامها هذا أثار في داخلها ذكريات كثيرة مؤلمة، وتابعت تقول:

ـ ما لا أستطيع أن أفهمه أو أصفح عنه يا دراكو هو أنك كنت تريد أن تتزوجني فقط لأجل أموالي، رغم حبك لليزا. والطريقة التي كذبت فيها عليّ عن هذا الأمر... أنت كذبت عليّ، أليس كذلك؟.

استدار وأخذ يحدق من نافذة المكتب. ثم قال: «نعم. لقد فعلت، ولكن ليس للسبب الذي تظنينه يا إيموجين».

سمعها تشهق فالتفت في الوقت نفسه الذي كانت تركض فيه خارجة من الغرفة.

آه، ما أحمقها! أخذت تعنف نفسها وهي تهرع إلى الحديقة. لا بد أنها حمقاء ما دامت تسمح لنفسها بأن تتألم بهذا الشكل من تصرفات دراكو.

توجهت من دون وعي إلى حديقة أمها، ملتمسة السلوى والعزاء. كيف يمكنها أن تحب رجلاً يكذب بهذه السهولة؟ وليس عليها فقط... كيف أنكر حبه لليزا! وجمدت يدها على وردة كانت تلمسها.

ما الذي تعنيه بحبها له؟ إنها لا تحب دراكو.

كذابة... هتف بهذا في داخلها صوت تعرفه، معنفاً. طبعاً أنت تحبينه. لم يتوقف حبك له ولن يتوقف أبداً.

وشعرت بطعنة ألم في قلبها... لا! لا. هذا غير صحيح أبداً...

* * *

قطب دراكو جبينه، هل عليه أن يلحق بإيموجين ويجعلها تصغي إليه، شارحاً لها كم هي مخطئة؟ ولماذا؟ إذا قال لها هذا، هل ستصغي إليه؟ لعله ظفر بما تمناه منذ وقت طويل، ولكنه لم يرض عن نفسه لأنه أرغم إيموجين على البقاء معه.

وجودها معه بالرغم عنها لم يكن ما يريده. لا في حياته ولا في سريره. لا. ما يريده هو أن تبقى معه لأنها هي تريد ذلك. لأنها تحبه.

رن جرس الهاتف فرفع السماعة، مرغماً نفسه على التركيز على ما راح الوكيل يقوله من الناحية الأخرى من الخط.

كانت تتوجه إلى البيت سيارة غير مألوفة، فظللت إيموجين عينيها من الشمس بيدها عندما وقفت السيارة ونزل منها السائق. ابتسمت وهي ترى دايفيد برايانت، محامي دراكو.

وكان هو يبادلها الابتسام.

سألته إيموجين: «كيف حال زوجتك؟».

فضحك.

ـ لم يعد أمامها وقت طويل الآن. إنها تريد أن يكون دراكو أحد عرابي الطفل، لأنها تظن أن قصة حبه لك شاعرية جداً.

نظرت إيموجين إليه، فأضاف غير واثق: «أرجو ألا يكون لديك مانع لأنني أخبرتها عن ذلك. أخبرتني أمي هذه القصة بعد أن سمعتها من خالي هنري، وكان هو يفكر كثيراً في دراكو. كان دراكو يستشيره، بعد موت أبيك، عما ينبغي عليه أن يفعله. وكان خالي يعلم أن أباك جعل دراكو يعده بألا يخبرك بحبه إلا بعد أن تبلغي سن الحادية

www.hamsatrewaiya.com
Laten

والعشرين. لكنه رأى أن موت أبيك المفاجىء غيّر الأمور وأنك بحاجة ماسة إلى إنسان في حياتك ليحميك. وحسب قول أمي، دعم خالي بقوة قرار دراكو بأن يطلب منك أن تتزوجيه فبهذا يحميك ويحمي ميراثك.

وتجنب النظر إلى إيموجين وهو يتابع وقد بدا عليه الارتباك:

ـ أنا لا أعرف الوضع كله. أمي كانت تقول دوماً إنك هربت لأنك كنت صغيرة وخائفة، ولأنك عانيت من متاعب الزفاف التي لا تحتملها فتاة صغيرة. ولكن لا بد أنه كان صعباً على دراكو أن يفقدك بهذا الشكل، وهو يحبك إلى هذا الحد.

كان في صوته لمحة ضئيلة للغاية من عتب رقيق لكنه تابع:

ـ على الأقل نجحت الأمور بينكما الآن. وتقول أمي إنها علمت دوماً أنكما ستتصالحان. هل دراكو هنا، بالمناسبة؟ أحضرت له بعض الأوراق للتوقيع.

وبدا عليه شيء من الخجل وكأنه شعر بأنه تحدث كثيراً.

كان رأسها يدور من قوة الصدمة التي تلقتها بعد ما سمعت. أومأت بشكل آلي ثم أخذت تنظر إليه وهو يتجه إلى المنزل. وببطء وتفكير بالغين، تبعته.

نهض دراكو من خلف مكتبه بسأم. كان يشعر بالبيت صامتاً ساكناً. وكان قد أمضى الساعات، بعد ذهاب دايڤيد، وهو يفكر في الماضي... والمستقبل... مناقشاً الدور الذي لعبه في حياة إيموجين. راسماً في ذهنه جدولين: واحد يسجل عليه الأسباب التي تجعلهما يبقيان متزوجين، والآخر يسجل عليه الأسباب التي تمنعهما من ذلك.

من وجهة نظر إيموجين، كانت تلك القائمة تثبت أن من الأفضل أن يطلق سراحها، معيداً إليها الحق في أن تقرر هي ما تريد.

وجدها في غرفة نومها القديمة. وكانت جالسة على الأريكة قرب النافذة، مثنية ركبتيها إلى أعلى وقد أحاطتهما بذراعيها. فذكرته وضعيتها هذه بطفولتها.

أخذت تنظر إليه بصمت وهو يدخل غرفتها. كانت قد جاءت إلى هنا بعد أن تركت الحديقة، متنقلة كشخص يحلم. كانت بحاجة إلى مكان آمن تلجأ إليه، مكان تستطيع أن تحلل فيه أفكارها المضطربة بهدوء.

أعطاها كلام دايڤيد برايانت لمحة عن وضع لم تعرف قط به. وهو وضع غيّر كلياً تفسيرها للأحداث الماضية.

لم يكن صعباً عليها أن تقبل فكرة أن أباها لاحظ شعورها نحو دراكو، فهي لم تحاول قط أن تجعله سراً. لكن قول دايڤيد إن دراكو كان يحبها وإن أباها أخذ عليه عهداً بأن يبقي ذلك الحب سراً...

لقد قالت لها ليزا صبيحة الزفاف إن عليها أن تسأله إن كان في حياته امرأة يحبها، ففعلت ذلك بالضبط، ودراكو...

هل أخطأت الفهم فأطلقت حكماً جائراً بالغ الخطأ وشجعتها عليه ليزا؟ ماذا لو كانت هذه هي الحقيقة؟ وماذا لو كان دراكو يشير إلى حبه لها لا إلى حبه لليزا!

أخذ قلبها يخفق بعنف جعل جسدها بأجمعه يرتجف لاضطراب مشاعرها.

ـ إيموجين.

أخذت نفساً عميقاً، وراحت تتفحص وجهه، محاولة أن تعرف ما يشعر به، أي شيء ينير لها الطريق. ولكن لم يكن هناك شيء. وعليها أن تعتمد على حدسها.

سألته: «لماذا تزوجتني، يا دراكو؟».

شعرت بأنه لم يتوقع هذا السؤال. ومع ذلك، لاحظت كيف أشاح

www.hamsatrewaiya.com
Faten

بوجهه عنها قليلاً قبل أن يجيب، وكأنه لا يريد أن ترى ما ارتسم على ملامحه. ثم أجاب بحذر:

ـ أنت تعلمين لماذا.

فقالت: «كنت أظن أنني أعلم السبب...».

ونزلت عن الأريكة ثم سارت إليه تقف أمامه لكي ترى وجهه، وهي تتابع:

ـ كنت في الحديقة عندما جاء دايفيد. وقد أخبرني...

وسكتت متسائلة عما إذا كان لديها الشجاعة لكي تستمر. ثم فكرت في طفلها... طفلهما، فأدركت أن ما كانت تفعله ليس لأجلها فقط.

سألته: «هل صحيح أن أبي جعلك تتعهد له بألا تخبرني بأنك تحبني قبل أن أبلغ الواحدة والعشرين؟».

ظنت في البدء أنه لن يجيب، وهذا وحده جعل قلبها يخفق بعنف وبسرور عنيف. فعلى كل حال، لو كان ما قاله دايفيد غير صحيح لأنكر دراكو على الفور بالطبع...

وألحّت عليه قائلة:

ـ هل هذا صحيح يا دراكو؟.

فقال بتوتر: «نعم».

كان دراكو يحبها... وسرت البهجة في كيانها.

ثم قال: «كان أبوك يعلم حقيقة شعوري نحوك، لأنني لم أستطع إخفاءه عنه، ويكفيني مشقة إخفاؤه عنك. وخصوصاً عندما...».

سكت وفي عينيه كآبة، وكأنه كان ينظر إلى مكان خفي يشغل باله:

ـ عندما قال إنك حتى لو كان لديك ذلك الاندفاع المراهق نحوي وإن علاقة كهذه لن تكون صواباً بالنسبة إليك، لأنك بحاجة إلى وقت حتى تنضجي وحتى تتعلمي شيئاً عن الحياة وعن نفسك. كان

يعلم أن عواطفي لن تتغيّر لكن اهتمامه كان منصباً عليك أنت، لأنه ظن أن مشاعرك نحوي قد تتغير... ووافقته أنا. وهذا لا يعني أن الأمر كان سهلاً عليّ، خصوصاً وأنّ الأمر متعلق بك.

وسكت ثم هز رأسه:

ـ كنت أشعر نحوك أحياناً بشوق من العنف بحيث... ثم مات أبوك. لم أشأ أن أنكث وعدي له. ولكن لم يكن هناك مفرّ من ذلك. تحدثت إلى هنري عن الأمر، فحثني على أن أتابع ما أراه صواباً. كنت أنتِ في الثامنة عشرة فقط وبريئة إلى حد لعين. كنت أعرف هذا.

وسكت لحظة تابع بعدها:

ـ لم أجرؤ على أن أثق بنفسي وأنا بقربك ولكن كان عليّ أن أفي بقسم من وعدي لأبيك على الأقل. وهكذا...

فقالت برقة تساعده على الاستمرار:

ـ وهكذا قررت أن تتزوجني بالاسم فقط.

فأجاب: «نعم. فقد حدثت نفسي بأنني لن أستطيع الانتظار حتى تصبحي في الواحدة والعشرين. أردتِ أن تذهبي إلى الجامعة. ولكن عندما خرجنا من الكنيسة أخبرتني بأنك تعرفين شعوري نحوك، ثم...».

وسكت ونظر إليها مباشرة:

ـ ثم هربت، وهذا جعلني لا أشك في شعورك نحو حبي لك.

فقالت وهي ترتجف: «أنا لم أهرب لأنك كنت تحبني، يا دراكو. لقد هربت لأنني ظننتك تحب امرأة أخرى. هذا ما قالته لي ليزا ضمناً. قالت إن هناك امرأة في حياتك وتحدتني أن أسألك. لو ظننت لحظة أنك تحبني، إذن...».

فسألها برقة: «إذن ماذا؟».

www.hamsatrewaiya.com
Faten

فأجابت وقد اتجهت يدها إلى بطنها وهي تحاول أن تعبّ الهواء ملء رئتيها:

- إذن، لكان هذا الجنين الثالث وليس الأول. لماذا لم تخبرني؟ لا بد أنك كنت تعرف شعوري نحوك.

تلهفت على السنوات التي ضاعت سدى من دون حب.

فقال: «أنت تعلمين لماذا. كنت قد وعدت أباك، ووافقته على كل ما قاله. كنت صغيرة جداً. لقد علمت أن عليّ، لمصلحتك، أن أدعك تذهبين. وبقيت على اتصال بحياتك طوال وجودك في ريو دي جانيرو. وعندما عدت...».

قاطعته بحزن: «لكنك رفضتني عندما أخبرتك أنني أحبك».

فقال: «إيموجين، كرهت نفسي بسبب الطريقة التي أرغمتك بها على مشاركتي فراشي. كنت أريد منك أكثر من مجرد علاقة جسدية بكثير، أردتك بأكملك، روحاً وجسداً، وأردتك أن تتقبليني وتحبيني روحاً وجسداً».

وعندما مدّ يديه إليها، ارتجفت بعنف وهي تدعه يضمها إليه. ورفعت وجهها إليه:

- عانقني، يا دراكو. فقط لتثبت لي أن هذا يحدث فعلاً.

انقض عليها يعانقها. ولكن هذا لم يكن كافياً لإيموجين. فضغطت يدها على كتفيه تطيل العناق إلى أن تأوّه وزاد من احتضانها وهو يعترف لها قائلاً:

- شعرت بالذنب لما فعلته بك. فقد أرغمتك على وضع لم يكن لديك فيه أيّ خيار سوى الاستسلام.

وسكت حين رآها تهز رأسها:

- لو شئت لرفضت. ولكن، في أعماقي، كان هذا ما أريده، وأنت من أريد رغم أنني ما كنت لأعترف بذلك، حتى لنفسي. صباح تلك

الليلة... شعرت وكأن حياتي اكتملت أخيراً. وكأنني أنا اكتملت يا دراكو. ولكن عندما حاولت أن أخبرك بذلك، رفضت كلامي. عند ذلك تذكرت مسألة ليزا.

فقال: «ليزا لم تعنِ لي شيئاً على الاطلاق. بل كنت أحتقرها أولاً للطريقة التي عاملتك بها، وثانياً للطريقة التي أساءت فيها استخدام حب أبيك لها».

فقالت: «لكنها كانت تريدك».

فأجاب عابساً: «نعم».

انتظرت إيموجين. كانت تعلم أنه لو حاول أن ينكر رغبة ليزا فيه، لكرهت أن تثق به كلياً.

وتابع يقول: «لقد جاءت إليّ مرتين. الأولى في حياة أبيك، والثانية بعد موته. وأظن أن تلميحها لك بأنها وأنا... حسناً، أظنها أرادت أن تؤلمك وتبعدك لتعود إليّ. فهي تعلم مدى حبي لك ومع ذلك لا أدري كيف تصدقين أن من الممكن أن أعجب بها ولو مثقال ذرة...!».

وكانت ذراعه تضمها إليه بينما ذراعه الثانية تداعب عنقها.

فقالت له: «لكنها جاءت إلى هنا لتزورك».

- إنها تحصل على مبلغ مالي من أملاك أبيك على دفعتين في العام. وكانت تحاول أن تقنعني بأن أزيد المبلغ، فأخبرتها بأنها تضيّع وقتها وأظن أننا الآن أيضاً نضيع وقتنا.

همس لها بذلك وهو يضيف:

- أنت لا تدركين كم أريدك الآن.

قالت مداعبة: «لا أدرك؟».

وازدادت اقتراباً منه وهي تتنهد بسعادة عندما أخذ ينثر قبلات صغيرة على وجهها، جعلت قلبها يرفرف من السعادة ثم شعرت به

www.hamsatrewaya.com
Faten

يجرّها نحو باب غرفة نومها.

كان يقول: «ما أريده حالياً، أكثر من أي شيء آخر في حياتي هو أن تكوني معي...».

فقالت مشيرة إلى سرير طفولتها الصغير الضيق:

ـ ثمة سرير هنا.

هز رأسه على الفور وقال لها بثبات:

ـ لا. هذه غرفتك عندما كنت صغيرة، طفلة يا إيموجين. وأنا لا أريد تلك الصغيرة أو الطفلة. بل أنت من أريد. المرأة... امرأتي هي التي أريد أن أحتضنها بين ذراعي.

وعندما جرها برقة فائقة خارجاً ومغلقاً الباب خلفها، شعرت إيموجين بعينيها تغرورقان بالدموع.

غالبت دموعها تلك، وأخذت تلمس يده برقة. وعندما أخذت أنفاسها تتسارع شوقاً، تذكرت فجأة شيئاً ما.

فسألته: «حسناً، بما أنك لم تكن مع ليزا الليلة الماضية، فأين كنت إذن؟».

أرسلت ملامحه الرزينة قلقاً خفيفاً في نفسها. أما هو فأخذ نفساً عميقاً. الآن بعد أن أحضر له دايفيد الأوراق ليوقعها، استقر حال الملجأ. وأصبح بإمكانه أن يخبر إيموجين بما حدث من دون أن يقلقها. وهكذا أخبرها بالأمر ببطء شديد. وعندما انتهى، استولى عليها الهدوء، ثم رأى دراكو دموعاً في عينيها.

أخذها بين ذراعيه وهو يئن:

ـ ما كان لي أن أخبرك. لقد كدّرتك وهذا آخر ما أريد أن أعمله.

فقالت تطمئنه وهي ترتعش:

ـ لا، لا، ليس هذا هو الأمر.

فسألها: «ما هو إذن؟».

فأجابت: «مجرد معرفتي بأنك تفعل شيئاً كهذا لأجلي يجعلني سعيدة. قمت بذلك لأجلي وحدي لأنك لم تكن تعلم عند ذاك بأمر الطفل».

فقال بجد: «ليس هناك ما لا أفعله لأجلك يا إيموجين. وليس هناك تضحية لا أقوم بها».

* * *

www.hamasatrewaiya.com
Faten

الخاتمة

وبرقة أخذت إيموجين تهز ابنها البالغ من العمر ثلاثة أشهر، بين ذراعيها، وهي تلتفت لتصغي بزهو إلى كلمة دراكو القصيرة.

كانا قد وصلا بالطائرة إلى ريو دي جانيرو في بداية الأسبوع، لحضور مراسم الاحتفال.

راحت الراهبات يبكين بشكل واضح عندما قدم دراكو إليهن الشيك. وقد تأثرت إيموجين هي نفسها وهي تتذكر ما فعل.

كان عمر «الكسندر جون» أقل من ثلاث ساعات عندما دخل دراكو إلى غرفتها في المستشفى، وناولها مغلفاً ومعه علبة مجوهرات صغيرة.

فتحت العلبة أولاً، ظناً منها أن المغلف لا يحوي سوى بطاقة. وتألقت عيناها سروراً حين رأت الخاتم الماسي الثمين هدية دراكو لها. وبينما كان يضعه في أصبعها، قال لها:

- قبل أن تفتحي المغلف دعيني أخبرك أنه ليس هدية مني إليك، مهما كنت عزيزة وغالية على قلبي.

فانتظرت إيموجين تتأمل.

وعاد يقول: «إنها هدية باسم الكسندر لأولئك الأطفال الذين قد لا

يحصلون على الحب الذي سيحصل عليه هو».

وكانت تحس بدراكو يراقبها وهي تفتح المغلف وتخرج الشيك الذي بداخله.

كان باسم الملجأ في ريو دي جانيرو. وعندما رأت المبلغ المدوّن عليه ارتجفت يدها.

وقالت: «دراكو. أعلم أننا عقدنا اتفاقية. ولكن شعوري نحوك... حبنا...».

فقال يؤنبها بلطف:

- أنت لم تصغي إليّ جيداً. لا علاقة لهذا بذلك، يا إيموجين. إنه ليس دفع دين، ولكن اعترافاً بالنعمة. نعمة حبك لي وحبي لك، وحبنا لابننا، وحب أبيك لنا نحن الاثنين.

لقد بكت حينذاك. وكانت دموع الفرح والحب والشكر لكل ما تنعم به، ولكن قبل كل شيء لأجل دراكو وطفلهما.

والآن، ها هي تنظر إلى دراكو وهو يقدم بصورة رسمية، الشيك إلى الأخت ماريا.

كانت تتحدث إلى إحدى زميلاتها القديمات التي أخبرتها أن تدخل دراكو في الوقت المناسب هو وحده الذي أنقذ الملجأ. وكلهن يؤمنّ بأنه رائع وأنها محظوظة بالزواج به، ووافقتها إيموجين تماماً! وعلى ذراعها كان الكسندر يضحك لها، فاحتضنته وقبلته. كان صورة عن دراكو إلا أنفه الذي يشبه أنف أبيها...

وكان دراكو متوجهاً نحوها بعد أن انتهى حديثه فابتسمت له بحب. وفجأة، لم يعد بمقدورها الصبر لينفردا معاً.

وكأنما تكهن بما تفكر فيه حين وصل إليها، فجرها إلى جانبه وانحنى يقبلها. الحب الذي رأته في عينيه وهو يقبلها جعل قلبها

www.banasatrewaiya.com
Faten

يرقص فرحاً. كان كل ما تمنته في حياتها، وكل ما تريده لحياتها.

وعندما تركها، همست له بتأثر: «أحبك».

فقال بحنان: «وأنا أيضاً أحبك. أحببتك دوماً وسأحبك على الدوام».

* * *

www.hamasatrewaiya.com
Faten

www.hamasatrewaiya.com Faten